السلسلة القصصية

من قصص الظالمين

محمد عبده

مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع

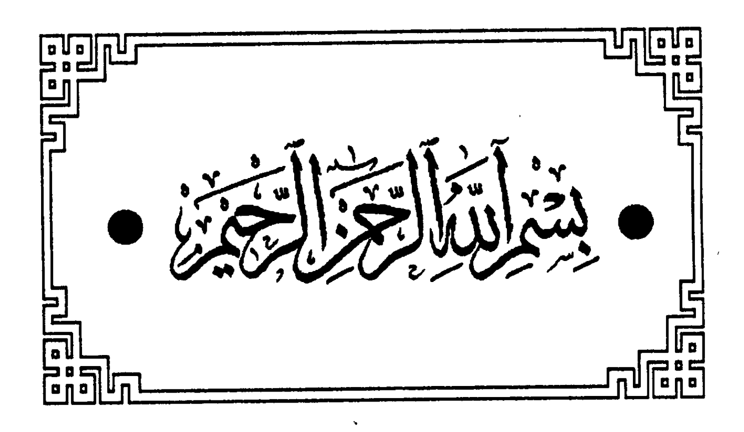
ت / ٢٢٥٧٨٨٢

جميع حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الأولى

مكتبة الإيمان ـ المنصورة

ت/ ٢٢٥٧٨٨٢


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

أحمدك يا ربى ، يا منعما ، ياذا العطايا ، وأسألك يا ربى أن تغفر لنا الخطايا، فأنت الرحمن الرحيم بالبرايا ، كتبت الرحمة على نفسك وإنا نرجوها غاية، وحرمت الظلم على نفسك وعلى خلقك ، وتوعدت الظالمين بالنيران يوم الحساب يوم تحسم القضايا .

والصلاة والسلام على حبيبنا محمد ﷺ ، حامل الراية، هو الأمين القرشى سيد البرايا ، اسمه محمد وفعله محمود فهو المصطفى ، واتباعه طريق النجاة يوم يحشر الخلق عرايا .

أما بعد :

فيا أحباب المصطفى ﷺ لقد جاء فى كتاب ربنا : ﴿ **أَلا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ** ﴿١٨﴾ ﴾ [هود: ١٨] وجاء أيضا : ﴿ **إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا** ﴾ [الكهف: ٢٩] ، وجاء أيضا : ﴿ **وَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلاً عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الأَبْصَارُ** ﴿٤٢﴾ ﴾ [إبراهيم : ٤٢] .

وجاء فى الحديث الصحيح : « **من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه وإن كان أخاه لأبيه وأمه** » . والحديث فى صحيح مسلم ، وهناك أحاديث كثيرة فى تحريم الظلم ولكنى اخترت هذا الحديث لأن ذلك أقل ظلم ، وهو أن تشير إلى أخيك بحديدة مهددًا إياه ، فما بالكم بشأن من وقع منه الظلم نفسه.

هذه الآيات والأحاديث هى المدخل إلى كتابنا هذا ، فسوف نسير وإياكم فى هذا الكتاب لنرى أحوال الظالمين ، ونقرأ قصصهم وعاقبتهم ، وأرجو من الله أن يحقق هذا الكتاب الغرض الذى كتب من أجله فلقد كتبته من أجل **ثلاثة أشياء:**

أولاً : لنرى به أنفسنا فإن كنا مع زمرة الظالمين تراجعنا وأقلعنا وعزمنا على التوبة الصادقة ، فخير رجل من رأى عيبه فقام بإصلاحه وهاجر إلى ربه.

ثانيا : إن كان قد وقع علينا ظلم فلنصبر ، ولنذكر أنفسنا بما بداخل هذا الكتاب المتواضع ، فسوف نجد فيه إن شاء الله ما يبعث الصبر والطمأنينة.

ثالثا : هذا الكتاب دعوة للثبات حتى لا نضيع ، ونطأطئ الرءوس لكل جبار أفاك أثيم ، وسوف نرى إن شاء الله أن الثبات يتحقق بالتوحيد الخالص والإيمان النقى .

وحتى لا أطيل عليكم فهيا بنا لننعم بقصص السادة الذين وقفوا أمام الظلم والظلمة، ونرى كيف أن الظلم حتما زائل؟ ، حتى وإن طال وتغلغل وقويت شوكته، فالحق نور يقهر ظلام الظلم ، والحق ماء يطفأ نار الظلم ، والحق هو «اللجوء والتمسك دوما وأبدًا بالله . فنحيا لله . . ونسعى بنور الله . . ولنعض على ديننا فيوما ما مرجعنا جميعًا إلى الله ، هنيئا لمن استعد لهذا اليوم ، وبؤسا لمن تعدى وظلم».

وأسأل الله لى ولكم الهداية ، والقبض على دين الله ، والموت على كلمة التوحيد والفوز فى الدارين الدنيا والآخرة . اللهم آمين .

المؤلف

محمد عبده مغاورى

المنصور - وعاقل مظلوم

روى أن رجلا من العقلاء ، غصبه بعض الولاة ضيعة له فأتى المنصور فقال له : أصلحك الله يا أمير المؤمنين أأذكر حاجتى أم أضرب لك قبلها مثلا؟!!

فقال المنصور : بل اضرب المثل . . .

فقال الرجل : إن الطفل الصغير إذا نابه أمر يكرهه فإنما يفزع إلى أمه ، إذ لا يعرف غيرها وظنا منه أن لا ناصر له غيرها . . . فإذا ترعرع واشتد كان فراره إلى أبيه. . . فإذا بلغ وصار رجلا وحدث به أمر شكاه إلى الوالى لعلمه أنه أقوى من أبيه. . . فإذا زاد عقله شكاه إلى السلطان ، لعلمه أنه أقوى من سواه فإن لم ينصفه السلطان شكاه إلى الله تعالى لعلمه أنه أقوى من السلطان ، وقد نزلت بى نازلة وليس أحد فوقك أقوى منك إلا الله تعالى فإن أنصفتنى وإلا رفعت أمرى إلى الله تعالى فى الموسم فإنى متوجه إلى بيته وحرمه .

فقال المنصور : بل ننصفك .

وأمر بالكتابة إلى واليه حتى يرد إلى هذا الرجل ضيعته.

الوالى بالطبع ظلم الرجل لتعديه على ضيعته ، ولكن الرجل أحسن فى استخدام عقله لدفع الظلم الذى وقع عليه ، فلم يسارع إلى الهجوم كما يصنع الكثير . . . ولكنه تحلى بالصبر والعقل فنال مراده ورفعت مظلمته.

* * *

أخاف أن تكتب معصية !!

لنقرأ سويًا هذه القصة ولكن بتمعن شديد حتى نرى كيف نجا العابد الزاهد من يد السلطان الجائر؟ .

بعث أبو جعفر « أحد من اشتهر بضرب الرقاب وسفك الدماء وإرهاب الرعية رغم أنه سلطانهم » إلى مالك بن أنس ، وابن طاوس فحضرا إليه وهو جالس على فرشه ، وبين يديه أنطاع قد بسطت ، وجلادون بأيديهم السيوف يضربون الأعناق ، فأومأ إلى مالك وابن طاوس بالجلوس فجلسا ، ثم أطرق أبو جعفر زمانا طويلا ثم رفع رأسه والتفت إلى ابن طاوس وقال : حدثنى عن أبيك .

قال ابن طاوس : سمعت أبى يقول : قال رسول الله ﷺ : « **إن أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل أشركه الله تعالى فى ملكه ، فأدخل عليه الجور - الظلم - فى حكمه**» .

فأمسك أبو جعفر ساعة حتى اسود ما بينه وبينهما ، ثم قال مالك في نفسه : لأضمن ثيابى مخافة أن ينالها شىء من دم ابن طاوس .

ثم قال أبو جعفر : يا ابن طاوس ناولنى هذه الدواة ، فأمسك عنه ، فقال أبو جعفر : ما يمنعك أن تناولنيها ؟، قال : أخاف أن تكتب بها معصية فأكون شريكك فيها .

فلما سمع أبو جعفر هذا الكلام قال : قوما عنى .

فقال ابن طاوس : ﴿ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ﴾[الكهف: ٦٤] .

قال مالك : فما زلت أعرف لابن طاوس فضله من ذلك اليوم.

قصة عظيمة جدًا ، وقف ابن طاوس أمام سلطان لا يتفاهم إلا بقطع الرقاب، واشتد عليه فى الكلام ، ولم يخش إلا الله فنجا وفاز وسجل له التاريخ ما قد كان .

* * *

ما نامت أعين الظالمين

حدث فى زمان موسى عليه السلام ، أن رجلا من ضعفاء بنى إسرائيل كان له عائلة وكان صيادًا يصطاد السمك ويقوت منه أطفاله وزوجته ، خرج يوما للصيد فوقع فى شبكته سمكة كبيرة ففرح بها ثم أخذها ومضى بها إلى السوق ليبيعها ويصرف ثمنها فى مصالح عياله ، فلقيه بعض العوانية «أى الأقوياء الذين يقومون باغتصاب الأموال ظلما وجورًا وهو نسب إلى عون » فرأى السمكة معه فأراد أخذها منه فمنعه الصياد فرفع العوانى خشبة كانت بيده فضرب بها رأس الصياد ضربة موجعة وأخذ السمكة منه غصبا بلا ثمن فدعا الصياد عليه وقال : إلهى جعلتنى ضعيفا وجعلته قويا عنيفا فخذ لى بحقى منه عاجلا فقد ظلمنى ولا صبر لى إلى الآخرة .

وفى هذا الأثناء ، كان الغاصب فى طريقه إلى منزله وعندما وصل قال لزوجته : اشوى لنا هذه السمكة العظيمة فسارعت زوجته لتلبية رغبته فى الحال وشوت السمكة ثم وضعتها فى طبق وقدمتها له ووضعتها بين يديه على المائدة ليأكل، وهنا حدث أمر عجيب فلقد فتحت السمكة عينها وفاها ثم نكزت هذا الظالم فى أصبعه نكزة طار بها عقله وصار لا يقر بها قرار ، فقام وشكا إلى الطبيب ألم يده وما حل بها فلما رآها قال: إن دواءها أن تقطع الأصبع لئلا يسرى الألم إلى بقية الكف.

فقطع أصبعه ، فانتقل الألم والوجع إلى الكف واليد وازداد التألم وارتعدت من خوفه فرائصه ، فقال له الطبيب : ينبغى أن تقطع اليد إلى المعصم لئلا يسرى الألم إلى الساعد فقطعها فانتقل الألم إلى الساعد فما زال هكذا كلما قطع عضو انتقل الألم إلى العضو الآخر الذى يليه فخرج هائما على وجهه مستغيثا إلى ربه

ليكشف عنه ما نزل به فرأى شجرة فقصدها فأخذه النوم عندها فنام.

فرأى فى منامه قائلا يقول : يا مسكين إلى كم نقطع أعضاءك امض إلى خصمك الذى ظلمته فارضه ، فانتبه الرجل من النوم ، وفكر فى أمره فعلم أن الذى أصابه من جهة الصياد فدخل المدينة وسأل عن الصياد وأتى إليه فوقع بين يديه يتمرغ على رجليه وطلب منه الإقالة مما جناه . . .ودفع إليه شيئا من ماله وتاب من فعله فرضى عنه الصياد فسكن فى الحال ألمه وبات تلك الليلة لا يشكو شيئا. متنعما بنومه وعافيته .

* فى هذه القصة فائدة عظيمة وهى :

حذار من دعوة المظلوم فإنها سريعة لا ترد ولقد جاء فى حديث رسول الله ﷺ فى شأن الدعوة المستجابة وأشار إلى « دعوة المظلوم » فحذار من الظلم فلنمسك عنه ولا نحاول بأى حال من الأحوال أن نتعدى أو نظلم . أى فرد كائنا من كان .

* * *

مرارة الظلم

يروى أن كسرى أنوشروان كان له معلم حسن التأديب يعلمه حتى فاق فى العلوم ، فضربه المعلم يوما من غير ذنب فأوجعه فحقد أنوشروان عليه فلما ولى الملك قال للمعلم : ما حملك على ضربى يوم كذا وكذا ظلمًا؟ .

فقال المعلم : لما رأيتك ترغب فى العلم رجوت لك الملك بعد أبيك فأحببت أن أذيقك طعم الظلم لئلا تظلم.

فقال أنوشروان : زه زه .

وفطن أنوشروان لهذا الدرس العظيم ، يحكى أن أحد الملوك كتب على بساطه:

لا تظلمن إذا ما كنت مقتدرا فالظلم مصدره يفضى إلى الندم

تنام عيناك والمظلوم منتبـــه يدعو عليك وعين الله لم تنـــم

* * *

جهجاه وعصا الخطابة

كان عند منبر رسول الله ﷺ عصا لها طرفان: أحدهما: مفتوح كالشوكة ، وكانت هذه العصاة لرسول الله ﷺ ، ثم لأبى بكر ، ثم لعمر رضى الله عنهما ، ثم ظلت تلك العصا حتى نهاية عصر عثمان بن عفان رضى الله عنه ، فكان يمسكها عند كل خطبة فلما كانت الفتنة العظيمة فى عهده قام رجل ظالم يسمى جهجاه الغفارى فأمسك بهذه العصا من يد أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضى الله عنه وقام بكسرها على ركبته فأثر ذلك فى قلب عثمان بن عفان رضى الله عنه ودخل داره بعد أن قام الناس عليه ولكن كان الظلم يقتله قبل مقتله .

فانتقم الله من جهجاه هذا ، ورماه بالأكلة فى ركبته التى كسر بها العصا ، فلم يحل عليه الحول حتى مات ، وارتاح المسلمون من ظلمه .

* * *

الدعاء يقتل الظلم

فى هذه القصة سنرى سويا إن شاء الله فائدة عظيمة للدعاء ، فالدعاء ياسادة، مصدر النجاة ، لأنه يكون لله فالداعى يكون فى معية الله وناج ثم ناج ثم ناج من كان فى معية الله ولنقرأ سويا القصة :

عن الفضل بن الربيع ، عن أبيه قال :

* دعانى المنصور ، فقال : إن جعفر بن محمد يلحد فى سُلطانى، قتلنى الله إن لم أقتله !

فأتيت جعفر بن محمد ، فقلت : أجب أمير المؤمنين فتطهر ولبس ثوبًا جديدًا، فأقبلت به فاستأذنت له ، فقال المنصور : أدخله ، قتلنى الله إن لم أقتله!

فلما نظر إليه مقبلا قام من مجلسه فتلقاه ، وقال : مرحبا بالنقى الساحة ، البريئ من الدغل والخيانة ، أخى وابن عمى . فأقعده معه على سريره وأقبل عليه بوجهه وسأله عن حاله .

ثم قال : سلنى عن حاجتك !

فقال : أهل مكة والمدينة قد تأخر عطاؤهم فتأمر لى به قال : أفعل .

ثم قال المنصور : يا جارية ، ائتنى بالتحفة . فأتته بمدهن زجاج فيه غالية فعلقه بيده وانصرف.

يقول الربيع . فاتبعته ، فقلت: يا ابن رسول الله ، أتيت بك ولا أشك أنه قاتلك ، فكان منه ما رأيت ! وقد رأيتك تحرك شفتيك بشىء عند الدخول فما هو؟!

قال : قلت :

اللهم احرسنى بعينك التى لا تنام ... واكنفنى بركنك الذى لا يرام... واحفظنى بقدرتك على ... ولا تهلكنى وأنت رجائى ، رب كم من نعمة أنعمت بها على قَلَّ لك عندها شكرى ... وكم من بلية ابتليتنى بها قَلَّ عندها صبرى ... فيا من قل عند نعمته شكرى فلم يحرمنى ... ويا من قَلَّ عند بليته صبرى فلم يخذلنى ... ويا من رآنى على المعاصى فلم يفضحنى ، ويا ذا النعم التى لا تحصى أبدًا ... ويا ذا المعروف الذى لا ينقطع أبدا ... أعنى على دينى بدنيا ، وعلى آخرتى بتقوى ... واحفظنى فيما غبت عنه ... ولا تكلنى إلى نفسى فيما خطرت ... يا من لا تضره الذنوب ولا تنقصه المغفرة ... اغفر لى ما لا يضرك، واعطنى ما لا ينقصك ... يا وهاب أسألك فرجا قريبا ... ونصرا جميلا... والعافية من جميع البلايا ... وشكر العافية.

* * *

كبيرٌ مفتون

قام أهل الكوفة برفع شكْوَى إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ، كتبوا فيها، إن سعدًا رضى الله عنه لا يحسن الصلاة ! فأرسل سيدنا عمر بن الخطاب رضى الله عنه إلى سيدنا سعد رضى الله عنه فقال سعد دفاعا عن نفسه : أما أنا فإنى كنت أصلى بهم صلاة رسول الله ﷺ ، صلاتى العشى لا أحرم منها ، أركد فى الأولين وأحذف فى الأخرين.

فقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : ذاك الظن بك يا أبا إسحاق . ثم بعث سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه رجالا يسألون عن سعد بالكوفة ، فكانوا لا يأتون مسجدًا من مساجد الكوفة إلا قالوا خيرًا ، حتى أتوا مسجدًا لبنى عبس ، فقال رجلٌ يقال له: « أبو سعدة »:

أما إذا نشدتمونا بالله ، فإنه كان لا يعدلُ فى القضية ، ولا يقسم بالسوية ، ولا يسيرُ بالسرية .

فقال سعد : « اللهم إن كان كذبًا فأعم بصره ، وأطل عمره ، وعرضه للفتن» .

قال عبد الملك : فأنا رأيته بعد يتعرض للإماء فى السكك ، فإذا سُئل : كيف أنت؟!!

يقول : كبيرٌ مفتون ، أصابتنى دعوة سعد .

* * *

سبحانك ! هذا بهتان عظيم

نزل السلطان ألب أرسلان ، إلى هراة فى بعض قدماته ، فاجتمع مشايخ البلد ورؤساؤها ، ودخلوا على أبى إسماعيل الأنصارى وسلموا عليه وقالوا : ورد السلطان ألب أرسلان ونحن على عزم أن نخرج ونسلم عليه ، فأحببنا أن نبدأ بالسلام عليك .

ولكن للأسف كان كل ذلك خدعة لهذا الشيخ الطيب فلقد حمل هؤلاء الظلمة المكرة تمثالا صغيرا من نحاس « صنم » وجعلوه فى المحراب تحت سجادة الشيخ وخرجوا . وقام الشيخ إلى خلوته.

وذهب هؤلاء المكرة الظلمة إلى السلطان ألب أرسلان ، فدخلوا عليه وسلموا ثم استغاثوا من الشيخ الأنصارى ، وقالوا: إنه مجسم ، وإنه يترك فى محرابه صنما يزعم أن الله تعالى على صورته ، وإن بعث السلطان الآن يجده.

فعظم ذلك على السلطان ، وبعث غلامًا وجماعة فدخلوا وقصدوا المحراب ، فأخذوا الصنم ، وألقى الغلام الصنم أمام السلطان ، فبعث السلطان من أحضر الأنصارى ، فأتى فرأى الصنم والعلماء ، وقد اشتد غضب السلطان ، فقال له السلطان: ما هذا ؟!!

فقال الأنصارى : صنمٌ يعملُ من الصفر شبه اللعبة .

فقال السلطان : لستُ عن ذا أسألك .

قال : فعم يسألنى السلطان ؟!

قال السلطان : إن هؤلاء يزعمون أنك تعبد هذا ، وأنك تقول : إن الله على صورته.

فقال الشيخ الأنصارى بصوت جهورى : سبحانك ! هذا بهتان عظيم فوقع فى قلب السلطان أنهم كذبوا عليه ، فأمر به فأخرج إلى داره مكرما .

ثم التفت السلطان إلى هؤلاء الظلمة وقال لهم : أصدقونى وهددهم وتوعدهم إن لم يصدقوه .

فقالوا : نحن فى يد هذا فى بلية من استيلائه علينا بالعامة ، فأردنا أن نقطع شرهُ عنا . فأمر بهم ووكل بهم وصادرهم وأخذ منهم وأهانهم .

* * *

اتق دعوة المظلوم

فى عهد السلطان أحمد بن طولون قام بأمر القضاء رجلا يسمى أبا عبيد الله ، اغتاظ هذا القاضى من بنان الحمال ، وظل يتحايل حتى استطاع أن يضربه سبع درر « أى سبع جلدات » .

فقال بنان الحمال : حبسك الله بكل درة سنة .

قالها بقلب تحرقه مرارة الظلم ، وعين تدمع تقربا لطلب العدل ، مِنَ العادل الأعظم ربنا عز وجل فاستجاب له.

وقام ابن طولون بحبس ابن عبيد الله سبع سنين .

فحذار من دعوة المظلوم ، فليس بينها وبين المولى عز وجل حجاب.

* * *

إن هذا الملك جبارٌ عظيمٌ

هلك أهل بغداد فى فتنة عارمة ، كثر فيها القتل والخوف والجوع ، هذه الفتنة نشأت بين أهل السنة ، والشيعة ثم جاء عضد الدولة بغداد ، فحكم بسفك الدماء ورهبه الجميع ، وكانت قاعدته خرس الألسنة بقطع الرقاب ، وكان لا يرضى أبداً بخلاف ، وفى يوم من الأيام سمع عن رجل لا يسكت لسانه عن الحق اسمه ابن سمعون فأرسل إليه شكر العضدى حتى يحضره، فلما ذهب شُكر إلى ابن سمعون وجده رجلاً عليه نور ، وعندما حضر ابن سمعون إلى شُكر فى مجلسه ، جلس بجانبه غير مكترث فأحس شُكر بمدى نقاء هذا الرجل فقال له ناصحا : إن هذا الملكَ «يقصد عضد الدولة» ملك جبار عظيم ، وما أوثر لك مخالفته ، وإنى موصلك إليه ، فقبل الأرض وتلطف له واستعن بالله عليه.

فقال فى ثَبَاتٍ : الخلق والأمر لله .

يقول شكر :

فمضيت به إلى حجرة قد جلس فيها الملك وحده فأوقفته ثم دخلتُ أستأذن ، فإذا هو إلى جانبى ، وحول وجهه إلى دار عز الدولة ثم تلا قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾ ﴾ [هود] ثم حول وجهه وقرأ: ﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[يونس] ، ثم أخذ فى وعظه ، فأتى بالعجب ، فدمعت عينُ الملك، وما رأيت ذلك منه قط وشرك كمه على وجهه ، فلما خرج أبو الحسين رحمه الله.

قال الملك : اذهب إليه بثلاثة آلاف درهم وعشرة أثواب من الخزانة ، فإن امتنع فقل له : فرقها فى أصحابك ، وإن قبلها فجئنى برأسه ، ففعلتُ.

فقال الشيخ : إن ثيابي هذه فصلت من نحو أربعين سنة ألبسها يوم خروجى وأطويها عند رجوعى ، وفيها متعةٌ وبقيةٌ ، ونفقتى من أجرة دار خلفها أبى ، فما أصنع بهذا ؟!

قلت : فرقها على أصحابك .

قال : ما فى أصحابى فقير .

فعدتُ إلى الملك وأخبرته ، فقال : الحمد لله الذى سلمه منا ، وسلمنا منه .

★ ★ ★

مضى فيهم أمر الله

فى هذه القصة سنرى دعوة خرجت من امرأة تظن أنها مظلومة ، لذلك لم تستجب هذه الدعوة رغم حرقة المرأة ، وسوف نعقب هذه القصة بقصة تبين لنا أنها كانت غير مظلومة وأن هارون رجل صالح بإذن الله لا يظلم أحدًا ، وإنها ظلم آل برمك أنفسهم .

والآن تعالوا بنا لنقرأ القصة .

دخلت امرأة على هارون الرشيد وعنده جماعة من وجوه أصحابه .

فقالت : يا أمير المؤمنين أقر الله عينك ، وفرحك بما أتاك ، وأتم سعدك ، لقد حكمت فقسطت .

فقالت هارون : من تكونين أيتها المرأة؟ .

فقالت : من آل برمك ممن قتلت رجالهم، وأخذت أموالهم وسلبت نوالهم .

فقال هارون : أما الرجال فقد مضى فيهم أمر الله؟ ونفذ فيهم قدره؛ وأما المال فمردود إليك .

ثم التفت إلى الحاضرين من أصحابه فقال: أتدرون ما قالت هذه المرأة؟ ، فقالوا : ما نراها قالت : إلا خيرًا .

قال : ما أظنكم فهمتم ذلك. أما قولها : أقر الله عينك: أى أسكنها عن الحركة وإذا أسكنت العين عن الحركة عميت ، وأما قولها وفرحك بما أتاك فأخذته من قوله تعالى : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَاهُم بَغْتَة ﴾ [الأنعام : ٤٤]، وأما قولها : وأتم الله سعدك فأخذته من قول الشاعر :

إذا تم أمر بدا نقصه ترقب زوالا إذا قيل: تم

وأما قولها : لقد حكمت فقسطت فأخذته من قوله تعالى : ﴿ وَأَمَّا الْقَاسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا (١٥) ﴾ [الجن: ١٥] .

فتعجبوا من ذلك .

كل هذا الدعاء على هارون ، ولكن لم يستجب ، لأن المرأة لم تكن مظلومة، بل كانت من أهل ظلم، وهم من اعترفوا على أنفسهم بذلك ، ولنبرهن فنقرأ القصة القادمة .

* * *

دعوة مظلوم غفلنا عنها

جاء في سير أعلام النبلاء :

قيل : إن ولدًا ليحيى البرمكي الوزير قال له وهم في القيود : يا أبه ، بعد الأمر والنهي والأموال صرنا إلى هذا ؟!

قال : يا بني ، دعوة مظلوم غفلنا عنها ، لم يغفل الله عنها .

هذا ما جاء في سير أعلام النبلاء ، وهناك قصص كثيرة تفيد أن البرامكة كانوا يجودون بالأموال ولكن لا يقربون الضعفاء إلى مجالسهم ، فكانت مجالسهم لأهل الشعر والعلم وذوي المكانة ، أما أصحاب الهدى والتقى فليس من حقهم الاقتراب لفقرهم وضعفهم ، ويكفيهم النفقة؛ وبالطبع هذا يخالف تعاليم الإسلام، فالإسلام هو الدين العظيم الذي يحفظ للشخص آدميته ، ويجبره على احترام آدمية الآخرين ، ولكن أين من يعلم ويستجيب؟ .

* * *

عين الله لا تنام

قد يظلم بعضنا بعضا ، ونسى الظالم أن عين الله لا تنام ، وأنه ليس بمغفول عنه ، وتعالوا بنا لنقرأ هذه القصة الجميلة :

حكى أبو محمد الحسين بن محمد الصالحى : كنا حول سرير المعتضد بالله ذات يوم نصف النهار فنام بعد أن أكل فانتبه منزعجا وقال : يا خدم ، فأسرعنا الجواب ، فقال : ويلكم أعينونى والحقوا بالشط فأول ملاح ترونه منحدرا فى سفينة فارغة فاقبضوا عليه وائتونى به ووكلوا بالسفينة من يحفظها فأسرعنا فوجدنا ملاحًا في سفينة وهى فارغة فقبضنا عليه ووكلنا من يحفظها وصعدنا به إلى المعتضد فلما رآه الملاح كاد يتلف فصاح عليه المعتضد صيحة عظيمة كادت روحه تذهب منها وقال : أصدقنى يا ملعون عن قضيتك مع المرأة التى قتلتها اليوم وإلا ضربت عنقك فتلعثم وقال: نعم كنت سحرًا فى المشرعة الفلانية فنزلت امرأة لم أر مثلها عليها ثياب فاخرة وحُلى كثيرة وجواهر فطمعت فيها واحتلت عليها حتى سددت فمها وأغرقتها وأخذت جميع ما كان عليها ثم طرحتها فى الماء ولم أجسر على حمل سلبها إلى دارى لئلا يفشو الخبر على فعولت على الهرب والانحدار إلى مدينة واسط فصبرت إلى أن خلا الشط فى هذه الساعة من الملاحين وأخذت فى الانحدار فتعلق بى هؤلاء القوم فحملونى إليك .

فقال المعتضد : وأين الحلى والسلب ؟

قال : فى صدر السفينة تحت البوارى ، قال المعتضد : على به الساعة فحضروا به فأمر بتغريق الملاح ثم أمر أن ينادى ببغداد من خرجت له امرأة إلى المشرعة الفلانية سحرا وعليها ثياب فاخرة وحُلى فليحضر فحضر فى اليوم الثانى ثلاثة من أهلها وأعطوا صفتها وصفة ما كان عليها فسلم ذلك إليهم.

فقلت: « أى الحسين الراوى » :

يا مولاى من أعلمك أو أوحى إليك بهذه الحالة وأمر هذه الصبية .

فقال المعتضد : بل رأيت فى منامى رجلاً شيخًا أبيض الرأس واللحية والثياب وهو ينادى : يا أحمد أول ملاح ينحدر الساعة فاقبض عليه وقرره على المرأة التى قتلها اليوم ظلما، وسلبها ثيابها، وأقم عليه الحد، ولا يفتك. فكان ما شاهدتم.

* * *

لا تظلموا نباش القبور

شاع فى عصرنا الحالى ظلم من نوع خاص ، هذا الظلم هو الظنُّ السيئ بالآخرين، والتسرع فى قذف الناس بالباطل دون التحرى فى الأمر وهذا ظلم بالطبع.

ولقد رأيت ذلك فى أحد مؤلفات ابن الجوزى رأيته يكتب قصة تشبه إلى حد بعيد ما يحدث فى عصرنا ولكن حدثت مع ابن عباس وبالطبع هذا الرجل الصالح تحرى الأمر ورفع الظلم ، فرجاء بعد أن تقرءوا هذه القصة تحروا ألف ألف مرة قبل أن تلقوا باتهامات على أبرياء يدافع عنهم الله يوم القيامة .

وحتى لا أطيل عليكم هيا بنا لنقرأ القصة .

روى عن سعيد بن جبير رضى الله عنه أنه قال : بينما نحن جلوس فى مجلس ابن عباس رضى الله عنهما إذ وقف رجل بين يديه فقال : يا ابن عباس، ما أذل العاصين بين يدى الله تعالى وما أحسن المبادرين إلى طاعة الله تعالى ؟؛ يا ابن عباس . ما أغفل المذنبين عن قرب الجليل ، وأشد تخليط من لم يوفق بالرحيل؟.

قال : ثم خرج فقام إلى ابن عباس بعض جلسائه فقال له :

يا ابن عباس إن هذا الرجل نباش « ينبش القبور ويسرق أكفان الموتى» وإنما يستتر بهذه المقالة ، فإذا جن عليه الليل خرج إلى المقابر فنبش فيعرى الموتى من أكفانهم.

[أرأيتم معى كل هذا الظلم والافتراء على الرجل] .

قال ابن عباس : لا أصدق مثل هذا حتى أراه بعينى وألمسه بكفى.

فقال له الرجل : إن شئت لأرينك ذلك . فقال : قد شئت .

فلما هجم الليل إذ الفتى قد أقبل وفى يده اليمنى قنديل وفى اليسرى غل حتى توسط المقابر ، ثم رمى بطرفه شاخصا وقال : سلام عليكم أهل مضايق اللحود ، ومطعم البلاء والدود ، ما أبعد سفركم ، وما أوحش طريقكم ، فليت شعرى ما حالكم ، ارتهنتم بأعمالكم ، وقطعتم دون آمالكم ، بل ليت شعرى أندم الحياة حل بكم ، أم فرح البشرى بالقدوم على ربكم ؟! سبقتمونا فلبيتم وأجبتم قبلنا إذ دعيتم ، ونحن للقدوم عليكم منتظرون ، وللمنهل الذى وردتموه واردون ، فبارك الله لنا ولكم على القدوم عليه ، ورحمنا إذا صرنا إلى ما صرتم إليه . ثم نزل فى قبر قد احتفره لنفسه فوضع خده على شفير اللحد وجعل ينادي: يا ويلتى إذ دخلت فى قبرى وحدى ، ونطقت الأرض من تحتى ، فتقول لى : لا مرحبا ولا أهلا ، ولا سعة ولا سهلا بمن كنت أمقته وهو على ظهرى ، فكيف وقد صرت اليوم فى بطنى لأضيقن عليك أرجائى ولأذيقنك مكروه بلائى . ويلى إذا خرجت من لحدى ، حاملا وزرى على ظهرى ، وقد تبرأ منى أبى وأمى. بل ويلى من طول كذبى إذ أسمعنى منادى ربى : أين فلان ابن فلان؟ فأبرزت من بين جيرتى ، وقد بدت إلى الناس سريرتى ، وقمت عريانا ذليلا ، وقاسيت كربا طويلا . ثم أساق إلى أرض القيامة للعرض ، والوقوف بين يدى جبار السماوات والأرض. . .ويلى إذا وقفت أمام ربى فقال لى : عبدى استترت بمعصيتى عن المخلوقين ، وبارزتني بها وأنا عليك من أكبر الشاهدين ، أفكنت عليك من أهون الناظرين إليك ؟ ثم خر مغشيا عليه فلما أفاق رفع رأسه إلى السماء فقال : يا ذخرى ويا ذخيرتى ومن هو أعلم بطويتى وسريرتى ، يا من عليه اعتمادى فى حياتى ، ومن إليه ألجأ بعد مماتى ، لا تخذلنى بعد الموت ، ولا توحشنى فى قبرى يا سامع كل صوت . . .

فلما سمع ابن عباس مقالته لم يتمالك أن يسعى حتى وقف على شفير القبر

وجعل ينادى : لبيك لبيك حبيبى ما أنبشك للذنوب وتمزق الخطايا ، ثم التفت إلى الذى سهى به وقال له : يا عبد الله هكذا فاصنع كما علمت بمثل هذا النباش ، فأرشده إلى ابن عباس ، فما أحبه إليه وآثره لديه ، ياليت كل النابشين مثله . وأنشأ يقول :

قف بنا بالقبور نبكى طويـــلا ونداوى بالدمع داء جلـيــلا
فعسى الدمــع أن يبــرد منــا بعض لوعاتنا ويشفى الغليلا
وننادى الأحباب كيف وجدتم سكرة الموت بعدنا والمقيـــلا
لو أطاقوا الجواب قالوا: وجدنا سكرة تترك العزيز ذليــــلا
بدلوا بعد القصــــور قبــورا ثم بعد اللباس ردما ثقيـــلا

ونخرج من هذه القصة بشيئين :

الأول : الظن ظلم ، واغتياب المسلم ظلم ، ورمى المسلم بما ليس فيه ظلم وآه لو كان من ترميه من أهل الصلاح، فإنها الطامة الكبرى ، فلو كان وليًا وظلمته لكان الانتقام من الله سريعا ، فحذار .

الثانى : التحرى إذا ما تضاربت الأقوال حتى نبتعد عن الظلم ورمى الناس بالباطل .

فسلم يا رب سلم من ذنب الغيبة، والتعدى على المسلمين.

* * *

ظلم النفس

لا يشترط أبدًا أن يظلم الإنسان شخصا آخر حتى يكون ظالما ، فمن الممكن أن يصبح المرؤ منا ظالمًا ، ولكن ظالما لنفسه ، فالتجنى وارتكاب المحرمات والبعد عن ميادين الطاعة كل ذلك ظلم شديد للنفس يهوى بصاحبه إلى جهنم والعياذ بالله وتعالوا معى لنرى في القصص القادمة كيف يكون ظلم النفس؟ وبعض من عواقبه الوخيمة وقبل الخوض فى ذلك اقرءوا معى هذه الكلمات الجميلة التى وددت أن يحفظها الجميع :

يـا غاديـا فى غفلـة ورائحـا إلى متى تستحسن القبائحـــا ؟
وكم إلى كم لا تخاف موقفـا يستنطق الله بـه الجوارحـــا ؟
واعجبا منك وأنت مبصـــر كيف تَجَنَّبْتَ الطريق الواضحـا؟
كيف تكون حين تلقى فى غـدٍ صحيفة قد حوت الفضائحـــا؟
وكيف ترضى أن تكون خاسرًا يوم يفوز من يكون رابحـــا ؟

والآن تعالوا بنا لنقرأ بعض القصص عن من ظلموا أنفسهـــم.

* * *

لمن الويل؟!

الويل بالطبع لتارك الصلاة لأنه ظلم نفسه صلة عظيمة لأن الصلاة هى الصلة بين العبد وربه ، فويل لمن يقطع هذه الصلة أو يفرط فيها.

يروى أن رجلا من أهل المدينة ماتت أخت له فغسلها وكفنها وصلى عليها ودفنها ، وعندما عاد من المقابر إلى أهله تذكر أنه نسى كيسًا كان معه فى القبر ، فاستعان برجل من أصحابه ، فأتيا القبر ، فنبشاه ، فوجدا الكيس ، ولكنه نبش أكثر حتى ينظر حال أخته ، فوجد أمرًا ارتعدت له فرائصه نعم عندما وجد القبر يشتعل بالنار هلع وفزع ، وسوى القبر على أخته ثم ذهب إلى أمه ، فسألها : عن أى حال ماتت أختى ؟!

فقالت : كانت تؤخر الصلاة عن وقتها ، ولا تصلى فيما أظن بوضوء ، وكانت تأتى أبواب الجيران فتسمع أخبارهم ، ثم تخرج حديثهم.

* * *

البدوى والوزير الحاسد

يحكى أن رجلا من العرب دخل على المعتصم فقربه وأدناه وجعله نديمه وصار يدخل عليه من غير استئذان ، وكان للمعتصم وزير يحسد هذا البدوى ويغار منه فقال الوزير فى نفسه : إن لم أحتل على هذا البدوى فى قتله أخذ بقلب أمير المؤمنين وأبعدنى منه فصار يتلطف بالبدوى حتى أتى به إلى منزله فطبخ له طعاما وأكثر فيه من الثوم فلما أكل البدوى منه قال له : احذر أن تقترب من أمير المؤمنين فيشم منك رائحة الثوم فيتأذى من ذلك فإنه يكره رائحته.

ثم ذهب الوزير إلى أمير المؤمنين فخلا به وقال : يا أمير المؤمنين إن البدوى يقول عنك للناس: إن أمير المؤمنين أبخر وهلكت من رائحة فمه.

فلما دخل البدوى على أمير المؤمنين جعل كمه على فمه مخافة أن يشم منه رائحة الثوم ، فلما رآه أمير المؤمنين وهو يستر فمه بكمه قال : إن الذى قاله الوزير على هذا البدوى صحيح .

فكتب أمير المؤمنين كتابا إلى بعض عماله يقول له فيه : إذا وصل إليك كتابى هذا فاضرب رقبة حامله ثم دعا بالبدوى ودفع إليه الكتاب وقال له : امض به إلى فلان وائتنى بالجواب .

فامتثل البدوى ما رسم به أمير المؤمنين وأخذ الكتاب وخرج به من عنده فبينما هو بالباب إذ لقيه الوزير فقال : أين تريد ؟!

قال البدوى : أتوجه بكتاب أمير المؤمنين إلى عامله فلان فقال الوزير فى نفسه : إن هذا البدوى يحصل له من هذا التقليد مال جزيل ، ثم قال الوزير للبدوى : يا بدوى ما تقول فيمن يريحك من هذا التعب الذى يلحقك فى سفرك ويعطيك ألفى دينار .

فقال البدوى : أنت الكبير وأنت الحاكم ومهما رأيته من الرأى افعل، قال الوزير : أعطنى هذا الكتاب فدفعه إليه فأعطاه الوزير وسار بالكتاب إلى المكان الذى هو قاصد .

فلما قرأ العامل الكتاب أمر بضرب رقبة الوزير .

وبعد أيام تذكر الخليفة فى أمر البدوى وسأل عن الوزير فأخبر بأن له أيامًا ما ظهر وأن البدوى بالمدينة مقيم .

فتعجب من ذلك وأمر بإحضار البدوى فحضر فسأله عن حاله فأخبره بالقصة التى اتفقت له مع الوزير من أولها إلى آخرها ، فقال له : أنت قلت عنى للناس: إنى أبخر ؟!

فقال له : معاذ الله يا أمير المؤمنين أن أتحدث بما ليس لى به علم وإنما كان ذلك مكرًا منه وحسدًا وأعلمه كيف دخل به إلى بيته وأطعمه الثوم وما جرى له معه ، ثم قال : يا أمير المؤمنين قاتل الله الحسد ما أعد له بدأ بصاحبه فقتله ، ثم خلع على البدوى واتخذه وزيرًا وراح الوزير بحسده.

فالحسد والمكر بالإنسان ظلم دفع الوزير إلى الهاوية فحذار من الحسد والمكر السيئ .

وأختم تلك القصة بقول الشاعر :

أيا حاسدا لى على نعمتــى ... أتدرى على من أسأت الأدب؟

أسـأت على الله فى حكمه ... لأنك لم ترض لى ما وهــب

فأخزاك ربى بأن زادنـــى ... وسد عليك وجوه الطلـــب

* * *

تقتلهم الحلوى

قد يطمع أحدنا فيما مع أخيه ، فيسرق أو يقطع الطريق وكلا الأمرين ظلمٌ للنفس وعاقبة الأمرين وخيمة سواء كانت العاقبة فى الدنيا أو فى الآخرة وتعالوا بنا لنقرأ القصة .

بلغ عضد الدولة أن قوما من الأكراد يقطعون الطريق ويقيمون فى جبال شامخة ولا يقدر عليهم أحد ، فاستدعى عضد الدولة بعض التجار ودفع إليه بغلا عليه صندوقان فيهما حلوى مسمومة كثيرة الطيب فى ظروف فاخرة ودنانير وافرة وأمره أن يسير مع القافلة ويظهر أن هذه هدية لأحد نساء الأمراء ، ففعل التاجر ذلك وسار أمام القافلة ، فنزل القوم فأخذوا الأمتعة والأموال وانفرد أحدهم بالبغل وصعد به الجبل ، فوجد به الحلوى فقبح على نفسه أن ينفرد بها دون أصحابه ، فاستدعاهم فأكلوا على جوع ، فماتوا عن آخرهم وأخذ أرباب الأموال أموالهم.

* * *

الثأر فى الحبة

لما أراد شيرويه قتل أبيه أبرويز ، قال أبرويز للداخل عليه ليقتله : إنى أدلك على شيء فيه غناك لوجوب حقك عليّ .

قال : وما هو ؟! .

قال : الصندوق الفلانى.

فلما قتله وذهب إلى شيرويه وأخبره الخبر ذهبا وأخرجا الصندوق .

فإذا فيه حُقٌّ ، فيه حَبٌّ ، ورقعة مكتوب فيها من تناول حبة واحدة افتض عشرة أبكار .

وكان شيرويه مُغرم بالنساء ، فتناول منه حبة ، فهلك فى ساعته .

فكان أبرويز أول مقتول أخذ بثأره من قاتله .

* * *

بريق الذهب

يقول المحسن التنوخى : بلغنى عن المعتضد أنه كان جالسا فى بيت يُبْنَى له ، فرأى فيهم أسود منكر الخلقة يصعد السلالم درجتين درجتين ، ويحمل ضعف ما يحمله غيره .

فأنكر ذلك وطلبه وسأله عن سبب ذلك « أى صعوده الدرجتين وحمله أكثر من زملائه من أين له بكل هذا؟ » فتلجلج ، فكلمه ابن حمدون فيه وقال: من هذا حتى صرفت فكرك إليه؟!

قال المعتضد : قد وقع فى خلدى أمر ما أحسبه باطلا ثم أمر به ، فضُرب مائة ، وتهدده بالقتل، ودعا بالنطع والسيف.

فقال العبد : الأمان ، أنا أعمل فى أتون الآجر «فرن» فدخل من شهور رجل فى وسطه هميان ، فأخرج دنانير ، فوثبت عليه وسددتُ فاه وكتفته وألقيته فى الأتون «الفرن» ، والذهب معى يقوى به قلبى.

فأحضر المعتضد الهميان التى كانت مع القتيل فوجد عليها اسم صاحبها ، فنودى فى البلد فجاءته امرأة ، فقالت : هو زوجى ولى منه طفل فسلم الذهب إليها ، وقتل العبد .

* * *

من يعمل هذه الجرب؟

يقول أبو على المحسن :

جاء خادم المعتضد فأخبره أن صيادا أخرج شبكته فثقلت فجذبها فإذا فيها جراب، فظنه مالاً ، فإذا فيه آجر بينه (كف) مخضوبة، فهال ذاك المعتضد ، وأمر الصياد فعاود طرح الشبكة ، فخرج جراب آخر فيه (رجل).

فقال المعتضد : معى فى بلدى من يفعل هذا ؟ ما هذا بملك !

« يقصد أن يأتى رجل ويقتل رجلا آخر ويقطعه أجزاء يضع كل جزء فى جراب ويكون ذلك فى عهده كملك إن هذا لا يصح» فلم يفطر يومه، ثم أحضر ثقة له ، وأعطاه الجراب وقال: طف به على من يعمل الجرب ، فإذا وجدته اسأله لمن باعه؟!

فغاب الرجل ، وجاء وقد عرف بائعه ، وأنه اشترى منه عطار أجرابا ، فذهب إليه فقال : نعم ، اشترى منى فلان الهاشمى عشرة جرب وهو ظالم ، إلى أن قال: يكفيك أنه كان يعشق مغنية ، فاكتراها من مولاها ، وادعى أنها هربت!

فلما سمع المعتضد ذلك سجد ، وأحضر الهاشمى ، فأخرج له اليد والرجل، فاصفر لونه واعترف ، فدفع إلى صاحب الجارية ثمنها، وسجن الهاشمى ويقال: إنه قتله .

* * *

صرعى بدر

روى عن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه أنه قال : « بينما رسول الله ﷺ يصلى عند الكعبة وأبو جهل وأصحابه جلوس وقد نحرت جزور بالأمس ، فقال أبو جهل لعنه الله : أيكم يقوم إلى سلا الجزور فيلقيه على كتفى محمد إذا سجد؟

فانبعث أشقى القوم فأخذه وأتى به فلما سجد ﷺ وضع بين كتفيه السلا والفرث والدم فضحكوا ساعة ، وأنا قائم أنظر ، فقلت: لو كان لى منعة لطرحته عن ظهر رسول الله ﷺ ، والنبى ﷺ ساجد ما يرفع رأسه حتى انطلق إنسان فأخبر فاطمة رضى الله عنها ، فجاءت فطرحته عن ظهره ، ثم أقبلت عليهم فسبتهم ، فلما قضى ﷺ الصلاة رفع يديه ودعا عليهم .

فقال : « **اللهم عليك بقريش** » ثلاث مرات ، فلما سمع القوم صوته ودعاءه ذهب عنهم الضحك ، وخافوا دعوته ، فقال: « **اللهم عليك بأبى جهل ، وعتبة ، وشيبة ، والوليد ، وأمية بن خلف** »، فقال على رضى الله تعالى عنه : والذى بعث محمدا بالحق ، رأيت الذين سماهم صرعى يوم بدر» (١) .

* * *

(١) فتح البارى حديث رقم (٣٨٥٤) ، ومسلم بشرح النووى : (١٠٧) .

سبحان من قتل الأمير وفك الأسير

وجه سليمان بن عبد الملك ، محمدًا بن يزيد ليطلق أهل السجون ، ويقسم الأموال فضيق على يزيد بن أبى مسلم ، فلما ولى يزيد بن عبد الملك الخلافة ولى يزيد بن أبي مسلم أفريقية ، وكان محمد بن يزيد واليا عليها ، فاستخفى محمد ابن يزيد فطلبه يزيد بن أبى مسلم وشدد فى طلبه ، فأتى به إليه فى شهر رمضان عند المغرب .

وكان فى يد يزيد بن أبى مسلم عنقود عنب فقال لمحمد بن يزيد حين رآه : يا محمد بن يزيد.

قال محمد : نعم.

قال يزيد : طالما سألت الله أن يمكننى منك .

فقال : وأنا والله طالما سألت الله أن يجيرنى منك.

فقال يزيد : والله ما أجارك ولا أعاذك ، وإن سبقنى ملك الموت إلى قبض روحك سبقته ، والله لا آكل هذه الحبة العنب حتى أقتلك.

ثم أمر به فكتف ، ووضع فى النطع ، وقام السياف ، فأقيمت الصلاة فوضع العنقود من يده وتقدم ليصلى وكان أهل أفريقية قد أجمعوا على قتله ، فلما رفع رأسه ضربه رجل بعمود على رأسه فقتله ، وقيل لمحمد بن يزيد : اذهب حيث شئت فسبحان من قتل الأمير وفك الأسير .

★ ★ ★

انصف الأجير قبل النفير

تكثر العمالة فى عصرنا هذا ، ولكن من يعطى الأجير حقه ، الكثير أصبح يتجنى على الأجير ، إلا من رحم ربى وأرجو من الله أن نكون جميعا ممن ينصفون الأجير ويعطونه حقه قبل أن يجف عرقه ، وإلا أصبحنا من الظالمين والعياذ بالله .

وتعالوا بنا لنقرأ قصة ، نرى فيها كيف ظلم أحد معلمى السلطنة فى الصاغة، عاملاً عنده ، فانتصر منه بعد ظلم.

يقول شهاب الدين محمد :

إن رجلا من أبناء الناس كانت له يد فى صناعة الصياغة ، وكان أوحد أهل زمانه فساء حاله وافتقر بعد غنىً ، فكره الإقامة فى بلده فانتقل إلى بلد آخر فسأل عن سوق الصاغة فوجد دكانا لمعلم السلطنة وتحت يده صناع كثيرون يعملون الأشغال للسلطنة وله سعادة ظاهرة ما بين مماليك وخدم وقماش وغير ذلك ، فتوصل الصانع الغريب إلى أن بقى من أحد الصناع الذين في دكان هذا المعلم وأقام يعمل عنده مدة ، وكلما فرغ النهار دفع له درهمين من فضة ، وتكون أجرة عمله تساوى عشرة دراهم فيكسب عليه ثمانية دراهم فى كل يوم ، فاتفق أن الملك طلب المعلم وناوله فردة سوار من ذهب مرصعة بفصوص فى غاية من الحسن قد عملت فى غير بلاده ، كانت فى يد إحدى محاظيه فانكسرت فقال له : الحمها فأخذها المعلم وقد اضطرب عليه فى عملها . فلما أخذها وأراها للصناع الذين عنده وعند غيره فما قال له أحد: إنه يقدر على عملها فازداد المعلم لذلك غما ومضت مدة وهى عنده لا يعلم ما يصنع ، فاشتد الملك على إحضارها وقال : هذا المعلم نال من جهتنا هذه النعمة العظيمة ولا يحسن أن يلحم سوارًا ، فلما

رأى الصانع الغريب شدة ما نال المعلم قال فى نفسه: هذا وقت المروءة أعملها ولا أؤاخذه ببخله علىّ وعدم إنصافه لِىَ ولعله يحسن إلىّ بعد ذلك فحط يده فى درج المعلم وأخذها وفك جواهرها وسبكها ثْم صاغها كما كانت ، ونظم عليها جواهرها فعادت أحسن مما كانت. . فلما رآها المعلم فرح فرحًا شديدا ثم مضى بها إلى الملك، فلما رآها استحسنها وادعى المعلم أنها صنعته فأحسن إليه وخلع عليه خلعة سنية ، فجاء وجلس مكانه فبقى الصائغ يرجو مكافأته عَمًّا عَامَلَهُ به فما التفت إليه المعلم، ولما كان آخر النهار ما زاده على الدرهمين شيئا فما مضت إلا أيام قلائل وإذا الملك اختار أن يعمل زَوْجَىْ أساور على تلك الصورة ، فطلب المعلم ورسم له بكل ما يحتاج إليه وأكد عليه فى تحسين الصنعة وسرعة العمل فجاء إلى الصانع وأخبر بما قال الملك ، فامتثل مرسومه ولم يزل منتصبا إلى أن عمل الزوجين وهو لا يزيده شيئا على الدرهمين فى كل يوم ولا يشكره ولا يعده بخير ولا يتجمل معه ، فرأى المصلحة أن ينقش على زوج منها أبياتا يشرح فيها حاله ليقف عليها الملك ، فنقش فى باطن أحدهما هذه الأبيات نقشا خفيفا يقول :

مصائب الدهر كفى ... إن لم تكف فعفى
خرجت أطلب رزقى ... وجدت رزقى توفى
فلا برزقى أحظى ... ولا بصنعة كفى
كم جاهل فى الثريا ... وعالم متخفى

قال: وعزم الصانع على أنه إن ظهرت الأبيات للمعلم شرح له ما عنده ، وإن غم عليه ولم يرها كان ذلك سبب توصله إلى الملك ثم لفها فى قطن وناولها للمعلم ، فرأى ظاهرهما ولم ير باطنهما لجهله بالصنعة ، ولما سبق له فى القضاء فأخذهما المعلم ومضى بهما فرحًا إلى الملك وقدمهما إليه، فلم يشك الملك فى أنهما صنعته فخلع عليه وشكره. . . ثم عاد فجلس مكانه ولم يلتفت إلى الصانع

وما زاده في آخر النهار شيئا على الدرهمين.

فلما كان اليوم الثانى خلا خاطر الملك فاستحضر الحظية التى عمل لها السوارين الذهب فحضرت وهما فى يديها فأخذهما ليعيد نظره فيهما وفى حسن صنعتهما فقرأ الأبيات فتعجب وقال : هذا شرح حال صانعهما والمعلم يكذب ، فغضب عند ذلك وأمر بإحضار المعلم ، فلما حضر قال له : من عمل هذين السوارين ؟ قال المعلم : أنا أيها الملك.

فقال الملك : فما سبب نقش هذه الأبيات؟

قال : لم يكن عليهما أبيات.

قال : كذبت ثم أراه النقش ، وقال : إن لم تصدقنى الحق لأضربن عنقك.

فأصدقه الحق ، فأمر الملك بإحضار الصانع فلما حضر سأله عن حاله فحكى له قصته وما جرى له مع المعلم فرسم الملك بعزل المعلم وأن تسلب نعمته وتعطى للصانع ، وبعد فترة من الوقت حزن الصانع على معلمه فطلب من الملك العفو عنه وصار شريكه فسبحان من ينصر المظلوم وينتصر من الظالم.

★ ★ ★

القيرواني مات فجأة

ذكر القيرواني في كتاب البستان عن بعض السلف قال:

كان لي جار يشتم أبا بكر وعمر رضي الله عنهما .

فلما كان ذات يوم أكثر من شتمهما فتناولته وتناولني .

فانصرفت إلى منزلي وأنا مغموم حزين ، فنمت وتركت العشاء ، فرأيت رسول الله ﷺ في المنام .

فقلت : يا رسول الله يسب أصحابك قال: من أصحابي ؟ قلت : أبو بكر وعمر .

فقال : خذ هذه المدية فاذبحه بها ، فأخذتها فأضجعته وذبحته ، ورأيت كأن يدي أصابها من دمه ، فألقيت المدية ، وأهويت بيدي إلى الأرض لأمسحهما فانتبهت وأنا أسمع الصراخ من نحو داره .

فقلت : ما هذا الصراخ ؟!

قالوا : فلان مات فجأة.

فلما أصبحنا جئت فنظرت إليه فإذا خط موضع الذبح.

* * *

أصبح وشِقُّ وجهه أسود

فى كتاب المنامات لابن أبى الدنيا عن شيخ من قريش قال:

رأيت رجلا بالشام قد اسود نصف وجهه وهو يغطيه فسألته عن ذلك .

فقال : قد جعلت لله على أن لا يسألنى أحد عن ذلك إلا أخبرته به ، كنت شديد الوقيعة فى على بن أبى اطلب رضي الله عنه .

فبينا أنا ذات ليلة نائم إذ أتانى آت فى منامى فقال لى :

أنت صاحب الوقيعة فِىَّ ، فضرب شِقَّ وجهى فأصبحت وَشِقَّ وجهى أسود كما ترى.

* * *

ذبح البارحة على سريره

قال محمد بن عبد الله المهلبى : رأيت فى المنام كأنى فى رحبة بنى فلان وإذا النبى صلى الله عليه وآله وسلم جالس على أكمة ومعه أبو بكر وعمر واقف قدامه .

فقال له عمر : يا رسول الله إن هذا يشتمنى ويشتم أبا بكر .

فقال : جئ به يا أبا حفص فأتى برجل فإذا هو العمانى ، وكان مشهورًا بسبهما .

فقال له النبى صلى الله عليه وآله وسلم « اضجعه» ، فأضجعه ، ثم قال اذبحه فذبحه ، قال : فما نبهنى إلا صياحه ، فقلت : ما لى لا أخبره عسى أن يتوب ، فلما تقربت من منزله سمعت بكاء شديدًا فقلت : ما هذا البكاء؟!

فقالوا : العمانى ذبح البارحة على سريره .

قال : فدنوت من عنقه فإذا من أذنه إلى أذنه طريقة حمراء كالدم المحصور.

* * *

رأيت بالمدينة عجبا

قال القيروانى : أخبرنى شيخ لنا من أهل الفضل قال :

أخبرنى أبو الحسن المطلبى إمام مسجد النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال: رأيت بالمدينة عجبا . . . كان رجل يسب أبا بكر وعمر رضى الله عنهما ، فبينا نحن يوما من الأيام بعد صلاة الصبح إذ أقبل رجل قد خرجت عيناه وسالتا على خديه ، فسألناه ما قصتك ؟

فقال : رأيت البارحة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعلى بين يديه ومعه أبو بكر وعمر فقالا : يا رسول الله ، هذا الذى يؤذينا ويسبنا فقال لى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « من أمرك بهذا ؟» فقلت له: على وأشرت إليه ، فأقبل عَلِىٌّ عَلَىَّ بوجهه ويده وقد ضم أصابعه وبسط السبابة والوسطى وقصد بهما إلى عينى .

فقال : إن كنت كذبت ففقأ الله عينيك ،وأدخل إصبعيه فى عينى فانتبهت من نومى وأنا على هذا الحال.

القصص الأربعة السابقة تبين كيف أن التعدى على الصحابة الأبرار ظلم كبير، وعقابه أليم .

وللأسف فى هذه الأيام زادت الجرأة على سيدنا على بن أبى طالب رضى الله عنه وعلى معاوية بن أبى سفيان رضى الله عنه .

فحذار يا أحباب من ذلك فهما صحابة والإساءة إليهما بأى كلام خارج يكون ظلما عظيما وكفانا أن نقول: الله أعلم بأمر الفتنة ورضى الله عن جميع الصحابة، حتى نخرج من محنة التعدى على أى منهما وأسأل الله السلامة لى ولكم من هذه الفتنة العظيمة «فتنة سب أو شتم أحد الصحابة الأعلام رضى الله عنهم جميعًا».

* * *

اللهم اهلك الظالمين بالظالمين

لنقرأ سويًا هذه القصة الطويلة ، ثم لنرى كيف انتهت بهلاك ظالم على يد ظالم، فاللهم اهلك الظالمين بالظالمين وأخرجنا من بين أيديهم سالمين آمين آمين.

عن عبد الملك بن عمير قال :

لما بلغ أمير المؤمنين عبد الملك بن مروان اضطراب أهل العراق جمع أهل بيته وأولى النجدة من جنده وقال : أيها الناس إن العراق كدر ماؤها، وكثر غوغاؤها، واملولح عذبها، وعظم خطبها، وظهر ضرامها « لهيب نارها »، وعسر إخماد نيرانها، فهل من ممهد لهم بسيف قاطع وذهن جامع وقلب ذكى وأنف حمى فيخمد نيرانها، ويردع غيلانها، وينصف مظلومها، ويداوى الجرح حتى يندمل، فتصفو البلاد وتأمن العباد ؟.

فسكت القوم ولم يتكلم أحد .

فقام الحجاج وقال : يا أمير المؤمنين أنا للعراق.

قال : ومن أنت لله أبوك؟.

قال الحجاج : أنا الليث الضمضام والهزبر الهشام .

أنا الحجاج بن يوسف .

قال : ومن أين ؟ !

قال الحجاج : من ثقيف كهوف الضيوف ومستعمل السيوف .

قال : اجلس لا أم لك فلست هناك.

ثم قال : ما لى أرى الرءوس مطرقة والألسن معتقلة فلم يجبه أحد.

فقام إليه الحجاج وقال : أنا مجندل الفساق ومطفئ نار النفاق .

قال : ومن أنت ؟!

قال الحجاج : أنا قاسم الظلمة ومعدن الحكمة الحجاج بن يوسف معدن العفو والعقوبة ، وآفة الكفر والريبة .

فقال أمير المؤمنين : إليك عنى وذاك فلست هناك ، ثم قال : من للعراق؟ فسكت القوم .

وقام الحجاج : أنا للعراق ، فقال : إذن أظنك صاحبها والظافر بغنائمها وإن لكل شيء يا ابن يوسف آية وعلامة فما آيتك ، وما علامتك ؟!

قال الحجاج: العقوبة والعفو ، والاقتدار والبسط ، والازورار والإدناء ، والإبعاد والجفاء ، والبر والتأهب والحزم وخوض غمرات الحروب بجنان غير هيوب فمن جادلنى قطعته ومن نازعنى قصمته ومن خالفنى نزعته ومن دنا منى أكرمته ، ومن طلب الأمان أعطيته ومن سارع إلى الطاعة بجّلته فهذه آيتى وعلامتى.

وما عليك يا أمير المؤمنين أن تبلونى فإن كنت للأعناق قطاعا وللأموال جماعًا وللأرواح نزاعًا ولك فى الأشياء نفاعًا ، وإلا فليستبدل بى أمير المؤمنين من الناس كثير ولكن من يقوم لهذا الأمر قليل .

فقال عبد الملك : أنت لها فما الذى تحتاج إليه ؟!

قال : قليل من الجند والمال.

فدعا عبد الملك صاحب جنده فقال : هيئ له من الجند شهوته ، وألزمهم طاعته وحذرهم مخالفته ثم دعا الخازن فأمره بمثل ذلك فخرج الحجاج قاصدا نحو العراق.

قال عبد الملك بن عمير فبينما نحن فى المسجد الجامع بالكوفة إذ أتانا آت فقال: هذا الحجاج قدم أميرا على العراق فتطاولت الأعناق نحوه وأخرجوا له عن صحن المسجد فإذا نحن به يمشى وعليه عمامة حمراء متلثما بها ثم صعد المنبر فلم يتكلم كلمة واحدة ولا نطق بحرف حتى غص المسجد بأهله وأهل الكوفة يومئذ ذوو حالة حسنة وهيئة جميلة فكان الواحد منهم يدخل المسجد ومعه العشرون والثلاثون من أهل بيته ومواليه وأتباعه عليهم الخز والديباج «الملابس الحريرية».

قال: وكان فى المسجد يومئذ عمير بن صابئ التميمى فلما رأى الحجاج على المنبر قال لصاحب له : أسبه لكم ، قال : اكفف حتى نسمع ما يقول ، فأبى «رفض » ابن صابئ ، وقال : لعن الله بنى أمية حيث يولون ويستعملون مثل هذا على العراق وضيع الله العراق حيث يكون هذا أميرها فوالله لو دام هذا أميرًا كما هو ما كان بشىء.

والحجاج ساكت ينظر يمينا وشمالاً فلما رأى المسجد قد غص بأهله قال : هل اجتمعتم؟! ، فلم يرد عليه أحد شيئا.

فقال : إنى لا أعرف قدر اجتماعكم فهل اجتمعتم ؟! فقال رجل من القوم: قد اجتمعنا أصلح الله الأمير .

فكشف عن لثامه ونهض قائما فكان أول شىء نطق به أن قال : والله إنى لأرى رءوسا أينعت ، وقد حان قطافها وإنى لصاحبها وإنى لأرى الدماء ترقرق بين العمائم واللحى ، والله يا أهل العراق إن أمير المؤمنين نثر كنانة « المكان المخصص لوضع السهام » بين يديه فعجم عيدانها ، فوجدنى أمرها عودًا ، وأصلبها مكسرًا، فرماكم بى ، لأنكم طالما آثرتم الفتنة واضطجعتم فى مراقد الضلال ، والله لأنكلن بكم فى البلاد ولأضربنكم مثلا فى كل واد ، ولأضربنكم ضرب غرائب الإبل.

وإنى يا أهل العراق لا أعِدُ إلا وفيت ، ولا أعزم إلا أمضيت فإياى وهذه الزرافات والجماعات ، وقيل وقال ، وكان ويكون .

يا أهل العراق إنما أنتم أهل قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأتاها وعيد القرى من ربها فاستوثقوا واستقيموا واعلموا ولا تميلوا وتابعوا وبايعوا واجتمعوا ، واستمعوا ، فليس منى الإهدار والإكثار إنما هو هذا السيف .

ثم لم ينسلخ الشتاء من الصيف حتى يذل الله لأمير المؤمنين صعبكم ويقيم له أودكم ثم إنى وجدت الصدق مع البر ، ووجدت البر فى الجنة ، ووجدت الكذب مع الفجور ، ووجدت الفجور فى النار ، وقد وجهنى أمير المؤمنين إليكم وأمرنى ان أنفق فيكم وأوجهكم لمحاربة عدوكم مع المهلب بن أبى صفرة ، وإنى أقسم بالله لا أجد رجلا يتخلف بعد أخذ عطائه بثلاثة أيام إلا ضربت عنقه.

ثم قال : يا غلام اقرأ كتاب أمير المؤمنين فقرأ .

بسم الله الرحمن الرحيم . من عبد الله عبد الملك بن مروان إلى من بالكوفة من المسلمين سلام عليكم . فلم يرد أحد شيئا.

فقال الحجاج : اكفف يا غلام ثم أقبل على الناس فقال : أيسلم عليكم أمير المؤمنين فلا تردون شيئا عليه؟ ، هذا أدبكم الذى تأدبتم به ، أما والله لأؤدبنكم أدبا غير هذا الأدب اقرأ يا غلام.

فقرأ حتى بلغ قوله سلام عليكم فلم يبق أحد إلا قال وعلى أمير المؤمنين السلام.

ثم نزل الحجاج بعدما فرغ من خطبته وقراءته ووضع للناس عطاياهم فجعلوا يأخذونها حتى أتاه شيخ يرعش فقال: أيها الأمير إنى على ضعف كما ترى ولى ابن هو أقوى منى على الأسفار أفتقبله بديلا منى فقال: نقبله أيها الشيخ .

فلما ولى قال له قائل: أتدرى من هذا أيها الأمير؟.

قال : لا.

قال : هذا عمير بن صابئ الذى يقول :

هممت ولم أفعل وكدت وليتنى ترکت على عثمان تبكى حلائله

ولقد دخل هذا الشيخ على عثمان رضى الله عنه وهو مقتول فوطئ فى بطنه فكسر ضلعين من أضلاعه.

فقال الحجاج : ردوه ، فلما ردوه قال له الحجاج : أنت الفاعل بأمير المؤمنين عثمان ما فعلت يوم قتل فى الدار ، إن فى قتلك أيها الشيخ إصلاحًا للمسلمين ، يا سياف اضرب عنقه . .

فضرب عنقه وكان من أمره بعد ذلك ما عرف وسطر ، فاللهم اهلك الظالمين بالظالمين .

طرفة :

قيل للشعبى : أكان الحجاج مؤمنا؟! قال : نعم بالطاغوت.

وقال : لو جاءت كل أمة بخبيثها وفاسقها وجئنا بالحجاج وحده لزدنا عليهم والله أعلم.

لذلك تعالوا بنا لنرى بعض قصص الحجاج التى تظهر قوته وسطوته وتمسكه بالظلم وإرهاب الناس ثم نرى قصة هلاكه.

* * *

الموعد القيامة

حُكِيَ أن الحجاج حبس رجلا فى حبسه ظلما فكتب إليه رقعة فيها:

قد مضى من بؤسنا أيام، ومن نعيمك أيام، والموعد القيامة ، والسجن جهنم، والحاكم لا يحتاج إلى بينة وكتب فى آخرها:

ستعلم يا نؤوم إذا التقينـــا غدا عند الإله من الظلــوم؟
أما والله إن الظلم لــــؤم وما زال الظلوم هو الملــوم
سينقطع التلذذ عــن أناس أداموه وينقطع النعيـــــم
إلى ديان يوم الدين نمضى وعند الله تجتمع الخصـــوم

* * *

شاهت الوجوه

دخل الحجاج الكوفة متوجهًا إلى عبد الملك ، فصعد المنبر فانكسر تحت قدمه لوح ، فعلم أنهم قد تطيروا له بذلك فالتفت إلى الناس قبل أن يحمد الله تعالى فقال:

.. شاهت الوجوه ، وتبت الأيدى ، وبؤتم بغضب من الله تعالى لأنكد من الغراب الأبقع وأشأم من يوم نحس مستمر ، وإنى لأعجب من لوط وقوله : لو أن لى بكم قوة أو آوى إلى ركن شديد فأى ركن أشد من الله تعالى أو ما علمتم ما أنا عليه من التوجه إلى أمير المؤمنين ، وقد وليت عليكم أخى محمد بن يوسف، وأمرته بخلاف ما أمر به رسول الله ﷺ معاذا فى أهل اليمن ، فإنه أمره أن يحسن إلى محسنهم ويتجاوز عن مسيئهم ، وقد أمرته أن يسىء إلى محسنكم وأن لا يتجاوز عن مسيئكم وأنا أعلم أنكم تقولون بعدى : لا أحسن الله له الصحابة ، وأنا معجل لكم الجواب لا أحسن الله عليكم الخلافة، أقول قولى هذا وأستغفر الله لى ولكم.

* * *

مجنون بنى عجل

خرج الحجاج يوما متنزها فلما فرغ من نزهته صرف عنه أصحابه وانفرد بنفسه فإذا هو بشيخ من بنى عجل فقال له : من أين أيها الشيخ؟!

قال : من هذه القرية .

قال الحجاج : وكيف ترون عمالكم ؟. « يقصد الأمراء ومن يقوم بأمر الإمارة» .

قال الرجل : شر عمال يظلمون الناس ويستحلون أموالهم.

قال الحجاج : فكيف قولك فى الحجاج؟!

قال : ذاك ما ولى العراق شر منه . قبحه الله وقبح من استعمله.

قال الحجاج : أتعرف من أنا؟!

قال : لا .

قال : أنا الحجاج .

قال الرجل : جُعلت فداك أو تعرف من أنا؟ .

قال الحجاج : لا.

قال الرجل : أنا فلان مجنون بنى عجل أصرع فى كل يوم مرتين.

فضحك الحجاج وأمر له بصلة .

إلى هذا الحد وصل بالناس الخوف والرعب من الحجاج يلقون على أنفسهم بالجنون خوفا من بطشه ، ولكن لكل ظالم نهاية فتعالوا معى لنقرأ نهاية الحجاج.

* * *

نهاية الظالم بدعوة العالم

إن الحجاج لما ذُكر له سعيد بن جبير أرسل إليه قائدًا يسمى : المُتلمس بن أحوص ، فى عشرين من أهل الشام ، فبينما هم يطلبونه إذا هم براهب فى صومعته ، فسألوه عنه ، فقال : صفوه لى ، فوصفوه فدلهم عليه ، فانطلقوا ، فوجدوه ساجدًا يناجى ربه بأعلى صوته، فدنوا وسلموا فرفع رأسه ، فأتم بقية الصلاة ، ثم رد عليهم السلام ، فقالوا: إنا رُسُل الحجاج إليك فأجبه ، قال : ولابد من الإجابة ؟!، قالوا : لابد! فحمد الله وأثنى عليه وقام معهم حتى انتهى إلى دير الراهب ، فقال الراهب : يا معشر الفرسان أصبتم صاحبكم ؟ قالوا : نعم، فقال : اصعدوا فإن اللبؤة والأسد يأويان حول الدير .

ففعلوا ورفض سعيد بن جبير أن يدخل . فقالوا: ما نراك إلا وأنت تريد الهرب منا ! ، قال : لا ولكن لا أدخل منزل مشرك أبدًا ، قالوا : فإنا لا ندعك فإن السباع تقتلك ، قال : لا ضير إن معى ربى يصرفها عنى ويجعلها حرسًا تحرسنى.

قالوا : فأنت من الأولياء ؟!

قال: ما أنا من الأولياء ، ولكن عبد من عبيد الله مذنب .

قال الراهب : فليعطنى ما أثق به على طمأنينة فعرضوا على سعيد أن يعطى الراهب ما يريد ، قال: إنى أعطى العظيم الذى لا شريك له ، لا أبرح مكانى حتى أصبح إن شاء الله.

فرضي الراهب بذلك ، وقال لهم : اصعدوا وضعوا السهام فى القوس لتنفروا السباع عن هذا العبد الصالح ، فإنه كره الدخول فى الصومعة لمكانكم .

فلما صعدوا وأوتروا القسى ، إذا هم بلبؤة قد أقبلت ، فلما دنت من سعيد تحككت به وتمسحت به ، ثم ربضت قريبا منه ، وأقبل الأسد يصنع كذلك ، فلما رأى الراهب ذلك ، وأصبحوا نزل إليه فسأله عن شرائع دينه وسنن رسوله ، ففسر له سعيد ذلك كله فأسلم ، وأقبل القوم على سعيد يعتذرون إليه ويقبلون يديه ورجليه ، ويأخذون التراب الذى وطئه فيقولون : يا سعيد ، حلفنا الحجاج بالطلاق والعتاق إن نحن رأيناك لا ندعك حتى نحضرك إليه ، فمرنا بما شئت .

قال سعيد : امضوا لأمركم ، فإنى لائذ بخالقى ولا راد لقضائه. فساروا حتى بلغوا واسطًا « اسم بلد » فقال سعيد : قد تحرمت بكم وصحبتكم ، ولست أشك أن أجلى قد حضر ، فدعونى الليلة آخذ أهبة الموت وأستعد لمنكر ونكير وأذكر عذاب القبر ، فإذا أصبحتم فالميعاد بيننا المكان الذى تريدون.

فقال بعضهم : لا تريدون أثرًا بعد عين ، وقال بعضهم : قد بلغتم أمنكم ، واستوجبتم جوائز الأمير فلا تعجزوا عنه . وقال بعضهم : نعطيكم ما أعطى الراهب ، ويلكم أما لكم عبرة بالأسد ؟! ونظروا إلى سعيد قد دمعت عيناه وشعث رأسه واغبر لونه ، ولم يأكل ولم يشرب ولم يضحك منذ يوم لقوه وصحبوه.

فقالوا : يا خير أهل الأرض ، ليتنا لم نعرفك ولم نسرح إليك ، الويل الأكبر، فإنه القاضى الأكبر والعدل الذى لا يجور .

قال: ما أعذرنى لكم وأرضانى لما سبق من علم الله فى . فلما فرغوا من البكاء والمجاوبة ، قال كفيله : أسألك بالله لما زودتنا من دعائك وكلامك ، فإنا لن نلقى مثلك أبدًا . ففعل ذلك فخلوا سبيله ، فغسل رأسه ومدرعته وكساءه وهم محتفون الليل كله ينادون بالويل واللهف ، فلما انشق عمود الصبح جاءهم سعيد فقرع الباب ، فنزلوا وبكوا معه وذهبوا به إلى الحجاج وآخر معه ، فدخلا

فقال الحجاج : أتيتمونى بسعيد بن جبير ؟! .

قالوا : نعم ، وعاينا منه العجب . فصرف بوجهه عنهم ، وقال: أدخلوه علىّ.

فخرج المتلمس فقال لسعيد : أستودعك الله وأقرأ عليك السلام . ثم أدخله على الحجاج .

فقال الحجاج : ما اسمك ؟

قال : سعيد بن جبير.

فقال الحجاج : أنت شقىٌّ بن كسير.

قال سعيد : بل أمى كانت أعلم باسمى منك .

قال الحجاج : شقيت وشقيت أمك !

قال سعيد : الغيب يعلمه غيرك .

قال الحجاج: لأبدلنك بالدنيا نارًا تلظى !

قال سعيد : لو علمت أن ذلك بيدك لاتخذتك إلها .

قال : فما قولك فى محمد ﷺ ؟

قال سعيد : نبى الرحمة ،وإمام الهدى.

قال : فما قولك فى على فى الجنة هو أم فى النار ؟

قال سعيد : لو دخلتها فرأيت أهلها عرفت.

قال : فما تقول فى الخلفاء؟

قال سعيد : لست عليهم بوكيل .

قال : فأيهم أعجب إليك؟!

قال سعيد : أرضاهم لخالقي .

قال : فأيهم أرضى للخالق ؟

قال : علمُ ذلك عنده.

قال الحجاج : أبيت أن تصدقنى .

قال : إنى لم أحب أن أكذبك .

قال الحجاج : فما بالك لم تضحك؟!

قال : لم تستو القلوب.

ثم أمر الحجاج باللؤلؤ والياقوت والزبرجد ، فجمعه بين يدى سعيد ، فقال : إن كنت جمعته لتفتدى به من فزع يوم القيامة فصالح ، وإلا ففزعةٌ واحدة تذهل كل مرضعة عما أرضعت ، ولا خير فى شىء جمع للدنيا ، إلا ما طاب وزكا.

ثم دعا الحجاج بالعود والناى ، فلما ضرب بالعود ونفخ فى الناى بكى ، فقال الحجاج : ما يبكيك ؟ هو اللهو.

قال سعيد : بل هو الحزن ، أما النفخ فذكرنى يوم نفخ الصور ، وأما العود فشجرةٌ قُطعت من غير حق ، وأما الأوتار فأمعاء شاة يبعث بها معك يوم القيامة .

فقال الحجاج : ويلك يا سعيد !

فقال سعيد : الويل لمن زحزح عن الجنة وأدخل النار.

فقال الحجاج : اختر أى قتلة تريد أن أقتلك .

فقال سعيد : بل اختر لنفسك يا حجاج ، فوالله ما تقتلنى قتلة إلا قتلتُك قتلة فى الآخرة .

قال الحجاج : أفتريد أن أعفو عنك ؟

قال سعيد : إن كان العفو فمن الله ، وأما أنت فلا براءة لك ولا عذر .

فصاح الحجاج : إقتلوه . . . فلما خرج سعيد من الباب ضحك ، فأخبر الحجاج بذلك فأمر برده ، فقال الحجاج : ما أضحكك ؟!

قال سعيد : عجبت من جرءتك على الله وحلمه عليك.

فأمر بالنطع فبُسط فقال : اقتلوه ، فقال سعيد : ﴿ إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ﴾ [الأنعام: ٧٩] .

قال : شدوا به لغير القبلة ، فقال سعيد : ﴿ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا فَثَمَّ وَجْهُ اللَّهِ ﴾ [البقرة: ١١٥] .

قال: كُبُّوهُ لوجهه !

فقال سعيد : ﴿ مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ ﴾ [طه : ٥٥] .

قال الحجاج : اذبحوه .

فقال سعيد : إنى أشهد وأحاج أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدًا عبده ورسوله ، خذها منى حتى تلقانى يوم القيامة .

ثم دعا سعيد وقال : [اللهم لا تسلطه على أحد يقتله بعدى].

فاستجيبت الدعوة ، فلقد عاش الحجاج بعد مقتل سعيد خمس عشرة ليلة، وقعت فى بطنه الأكلة فدعا بالطبيب لينظر إليه ، فنظر إليه ثم دعا بلحم مُنتن فعلقه فى خيط ثم أرسله فى حلقه ، فتركه ساعة ثم استخرجها وقد لزق به من الدم فعلم أنه ليس بناج.

هلك الحجاج واستجيبت دعوة سعيد بن جبير عليه رحمة الله.

* * *

لمن الدبابيس

هذه القصة جميلة تبين لنا أن الذى يُعلى من شأن الإنسان صبره على الحق وتمسكه به ، والذى يدنى من شأنه مكابرته وظلمه للناس ، وأرجو من الله أن تقرءوا هذه القصة وتمعنوا النظر فى كل كلمة ، فبهذه القصة معان كثيرة ، فيها أن صلة العبد بربه تذلل له الطريق ، وفيها نهاية الظالم المصر على معصيته نهاية الطريق ، وفيها صلاح الحاكم واتخاذه الآمر بالمعروف الناهى عن المنكر صديق ، فهنيئا لمن يمعن النظر ويطيل الاعتبار.

يقول العلامة ابن كثير ، ذكر القاضى أبو الحسن محمد بن عبد الواحد الهاشمى ، عن شيخ من التجار قال :

كان لى على بعض الأمراء مال كثير ، فماطلنى ومنعنى حقى ، وجعل كلما جئت أطالبه حجبنى عنه ، ويأمر غلمانه ، يؤذوننى ، فاشتكيت عليه إلى الوزير ، فلم يفد ذلك شيئا ، وإلى أولياء الأمر من الدولة ، فلم يقطعوا منه شيئا ، وما زاده ذلك إلا منعا وجحودا ، فأيست من المال الذى عليه ، ودخلنى هم من جهته.

فبينما أنا كذلك ، وأنا حائر إلى من أشتكى ، إذ قال لى رجل : ألا تأتى فلانا الخياط - إمام مسجد هناك - فقلت : وما عسى أن يصنع خياط مع هذا الظالم وأعيان الدولة لم يقطعوا فيه ؟ فقال لى : هو أقطع ، وأخوف عنده ، من جميع من اشتكيت إليه فاذهب إليه لعلك تجد عنده فرجًا.

قال : فقصدته ، غير محتفل فى أمره ، فذكرت له حاجتى ومالى ، وما لقيت من هذا الظالم ، فقام معى ، فحين عاينه الأمير ، قام إليه ، وأكرمه ، واحترمه وبادر إلى قضاء حقى الذى عليه ، فأعطانيه كاملا من غير أن يكون منه

إلى الأمير كبير أمر ، غير أنه قال : ادفع إلى هذا الرجل حقه ، وإلا أذنت فتغير لون الأمير ودفع إليّ حقى.

قال التاجر : فعجبت من ذلك الخياط ، مع رثاثة حاله ، وضعف بنيته ، كيف انطاع ذلك الأمير له؟ ، ثم إنى عرضت عليه شيئا من المال فلم يقبل منى شيئًا .

وقال : لو أردت هذا لكان لى من الأموال ما لا يحصى فسألته عن خبره ، وذكرت له تعجبى منه ، وألححت عليه .

فقال : إن سبب ذلك ، أنه كان عندنا فى جوارنا ، أمير تركى ، من أعالى الدولة ، وهو شاب حسن ، فمرت به ذات يوم امرأة حسناء ، قد خرجت من الحمام ، وعليها ثياب مرتفعة ذات قيمة ، فقام إليها وهو سكران ، فتعلق بها ، يريدها على نفسها ، ليدخلها منزله ، وهى تأبى عليه ، وتصيح بأعلى صوتها : يا مسلمون ، أنا امرأة ذات زوج ، وهذا رجل يريدنى على نفسى ، ويدخلنى منزله وقد حلف زوجى بالطلاق ، أن لا أبيت فى غير منزله ، ومتى بت هاهنا طلقت منه ولحقنى بسبب ذلك عار ، لا تدحضه الأيام ، ولا تغسله المدامع .

قال الخياط : فقمت إليه فأنكرت عليه وأردت خلاص المرأة من يديه فضربنى بدبوس فى يده ، فشج رأسى ، وغلب المرأة على نفسها ، وأدخلها منزله قهرًا ، فرجعت أنا ، فغسلت الدم عنى ، وعصبت رأسى ، وصليت بالناس العشاء ، ثم قلت للجماعة : إن هذا قد فعل ما قد علمتم ، فقوموا معى إليه ، لننكر عليه ، ونخلص المرأة منه ، فقام الناس معى فهجمنا على داره ، فثار إلينا في جماعة من غلمانه بأيدهم العصا والدبابيس ، يضربون الناس ، وقصدني من بينهم ، فضربنى ضربا شديدا مبرحا ، حتى أدمانى ، وأخرجنا من منزله ، ونحن فى غاية الإهانة، فرجعت إلى منزلى ، وأنا لا أهتدى إلى الطريق من شدة الوجع وكثرة الدماء، فنمت على فراشى ، فلم يأخذنى نوم ، وتحيرت ماذا أصنع ، حتى أنقذ المرأة من

يده فى الليل ، لترجع فتبيت فى منزلها ، حتى لا يقع الطلاق، فألهمت أن أؤذن الصبح فى أثناء الليل ، لكى يظن أن الصبح قد طلع فيخرجها من منزله ، فتذهب إلى منزل زوجها ، فصعدت المنارة ، وجعلت أنظر إلى باب داره وأنا أتكلم على عادتى قبل الأذان ،هل أري المرأة قد خرجت ؟ ثم أذنت فلم تخرج، ثم صممت على أنه إن لم تخرج أقمت الصلاة ، حتى يتحقق الصباح ، فبينا أنا أنظر هل تخرج المرأة أم لا ؟ ، إذا امتلأت الطريق فرسانا ورجالة وهم يقولون : أين الذى أذن هذه الساعة ؟

فقلت : ها أنا ذا ، أنا أريد أن يعينونى عليه .

فقالوا : انزل .

فنزلت فقالوا : أجب أمير المؤمنين ، فأخذونى وذهبوا بى ، لا أملك من نفسى شيئا ، حتى أدخلونى عليه ، فلما رأيته جالسا في مقام الخلافة ارتعدت من الخوف وفزعت فزعا شديدًا ، فقال : ادن « اقترب » ، فاقتربت ، فقال لى : ليسكن روعك ، وليهدأ قلبك .

وما زال يلاطفنى حتى اطمأننت ، وذهب خوفى ، فقال : أنت الذي أذنت هذه الساعة ؟

قلت : نعم يا أمير المؤمنين .

فقال : ما حملك على أن أذنت هذه الساعة ، وقد بقى من الليل أكثر مما مضى منه ؟! فتغر بذلك الصائم ، والمسافر ، والمصلى . . . وغيرهم .

فقلت : يؤمننى أمير المؤمنين حتى أقص عليه خبرى؟!

فقال : أنت آمن .

فذكرت له القصة . قال : فغضب غضبًا شديدًا ، وأمر بإحضار ذلك الأمير

والمرأة من ساعته على أى حالة كانا ، فأحضرا سريعا ، فبعث بالمرأة إلى زوجها مع نسوة من جهته ، ثقات ومعهن ثقة من جهته أيضا ، وأمره أن يأمر زوجها بالعفو والصفح عنها ، والإحسان لها ، فإنها مكرهة ومعذورة ، ثم أقبل على ذلك الشاب الأمير فقال له : كم لك من الرزق ؟ كم عندك من المال ؟ كم عندك من الجوار والزوجات ؟ فذكر له شيئا كثيرا . . .

فقال له : ويحك . . . أما كفاك ما أنعم الله به عليك ، حتى انتهكت حرمة الله ، وتعديت حدوده ، وتجرأت على السلطان ، وما كفاك ذلك أيضا ، حتى عمدت إلى رجل ، أمرك بالمعروف ونهاك عن المنكر ، فضربته وأهنته ، وأدميته؟ فلم يكن له جواب فأمر به فجعل فى رجله قيد ، وفى عنقه غُلّ ، ثم أمر به فأدخل فى جوالق ، ثم أمر به فضرب بالدبابيس ضربا شديدا حتى خفت ثم أمر به ، فألقي فى نهر دجلة ، فكان ذلك آخر العهد به .

ثم أمر بدرا صاحب الشرطة أن يحتاط على ما فى داره من الحواصل والأموال، التى كان يتناولها ، من بيت المال ، ثم قال لذلك الرجل الصالح الخياط: كلما رأيت منكرًا صغيرًا كان أو كبيرًا ولو على هذا ـ وأشار إلى صاحب الشرطة ـ فأعلمني ، فإن اتفق اجتماعك بي ، وإلا فعلى ما بينى وبينك الأذان ، فأذن فى أي وقت كان ، أو فى مثل وقتك هذا .

قال : فلهذا لا آمر أحدًا من هؤلاء الدولة بشيء إلا امتثلوه ولا أنهاهم عن شيء إلا تركوه خوفا من المعتضد . وما احتجت أن أؤذن في مثل تلك الساعة الآن.

* * *

زكرويه

هذا اسم سفاح ظالم من السفاحين المشهورين وتعالوا معى لنتعرف عليه من هذه القصة .

فى المحرم من سنة أربع وتسعين ومائتين ، خرج زكرويه السفاح إلى الحجاج من أهل خراسان وهم قافلون من مكة ، فقتلهم عن آخرهم وأخذ أموالهم ، ورفع بنسائهم إلى الاستعباد والرق عنده وعند حاشيته، وكان قيمة ما أخذه منهم ألفى ألف دينار وعدة من قتل عشرين ألف إنسان وكانت نساء القرامطة ، يطفن بين القتلى ، من الحجاج ، وفي أيديهن الآنية ، من الماء ، يزعمن أنهن يسقين الجريح العطشان ، فمن كلمهن من الجرحى ، قتلنه وأجهزن عليه ، لعنهن الله ولعن أزواجهم .

ولما بلغ الخليفة خبر الحجيج ، وما أوقع بهم الخبيث ، جهز إليه جيشا كثيفا، فالتقا معه ، فاقتتلوا قتالا شديدا ، قتل من القرامطة خلق كثير ولم يبق منهم إلا قليل ، وذلك فى أول ربيع الأول منها ، وضرب رجل زكرويه بالسيف ، فى رأسه ، فوصلت الضربة إلى دماغه ، وأخذ أسيرًا فمات بعد خمسة أيام ، فشقوا بطنه وصبروه وحملوه فى جماعة من رءوس أصحابه إلى بغداد واحتوى عسكر الخليفة على ما كان بأيدى القرامطة ، من الأموال والحواصل وأمر الخليفة بقتل أصحاب القرمطى ، وأن يطاف برأسه في سائر بلاذ خراسان لئلا يمتنع الناس عن الحج .

فالحمد لله على هلاك هذا الطاغية وجعله مثلا لمن خلفه .

* * *

رأس الأمين يحمله الدندانى

الأمين : هو محمد الأمين بن هارون الرشيد ، وأمه زبيدة بنت جعفر بن أبى جعفر المنصور ، أبوه علم الهدى ولكن يا لضياع الرجل .

لذا تعالوا بنا لنقرأ ظلمه ونهايته حتى نتعظ إن شاء الله ، ومع القراءة سنكتب لمحة بسيطة عن هذا الضائع .

كانت ولايته ، أربع سنين وسبعة أشهر وثمانية أيام وكان طويلا سمينا أبيض، أقنى الأنف صغير العينين ، عظيم الكراديس بعيدًا ما بين المنكبين . كثر لعبه وقَلّ جده ، وقال بعضهم : إنه أفرط فى الشرب وأقل فى الصلاة والذكر .

وذكر ابن جرير :

أنه جلس يوما فى مجلس أنفق عليه مالاً جزيلا فى الخلد ، وقد فرش له بأنواع الحرير ، ونضد بآنية الذهب والفضة ، وأحضر ندماءه « من يجلسون معه » وأمر القهرمانة « المسئولة عن الإماء » أن تهيئ له مائة جارية حسناء ، وأمرها أن تبعثهن إليه عشرا بعد عشر يغنين له ، فلما جاء العشر الأول اندفعن يغنين بصوت واحد :

هُمو قتلوه كى يكونوا مكانه كما غَدَرتْ يوما بكسرى مَرازِبُه

« مرازبه : مرزبان وهو الرئيس عند الفرس » .

فغضب من ذلك وتبرم وضرب رأسها بالكأس ، وأمر بالقهرمانة أن تلقى إلى الأسد فأكلها ، ثم استدعى بعشر فاندفعن يغنين :

من كان مسرورًا بمقتل مالكٍ فليأت نسوتنا بوجه نهـارِ
يجدِ النساءَ حواسرًا يندبنهُ يلطمنَ قبل تبلجِ الأسحارِ

فطردهن واستدعى بعشر غيرهن .

فلما حضرن اندفعن يغنين بصوت واحد :

كليبٌ لعمرى كان أكثر ناصراً وأيسر ذنبًا منك ضرج بالدم

(ضرج بالدم : أى تلطخ بالدم) .

فطردهن وقام من فوره وأمر بتخريب ذلك المجلس وتحريق ما فيه .

وبعد كل هذا الظلم من الأمين ، كانت النهاية حيث قتل ، قتله قريش الدندانى، وحمل رأسه إلى طاهر بن الحسين فنصبه على رمح وتلا قول الحق تبارك وتعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آل عمران: ٢٦] .

فاللهم إنا نسألك السلامة من الظلم وعاقبته ، اللهم آمين.

* * *

قلوب أوجعتموها

كان السلطان أحمد بن طولون رجلا شجاعا جوادًا حكم مصر والشام ، وهو تركى مستعرب ، لذلك كانت تنتابه حدة فى الطبع فيقسو على الناس ، وجاءت عليه فترة سفك فيها الدماء حتى هلك فى ذلك خلق كثير ، حتى استغاث الناس من ظلمه ، وتوجهوا إلى السيدة نفيسة بنت الحسن بن زيد بن الحسن بن على بن أبى طالب يشكونه إليها ، فقالت لهم : متى يركب ؟! .

قالوا : فى غد .

فكتبت رقعة، ووقفت بها فى طريقه ، وقالت :

يا أحمد يا ابن طولون فلما رآها عرفها فترجل عن فرسه وأخذ منها الرقعة وقرأها فإذا فيها :

ملكتم فأسرتم وقدرتم فقهرتم وخولتم فعسفتم وردت إليكم الأرزاق فقطعتم هذا وقد علمتم أن سهام الأسحار نافذة غير مخطئة لاسيما من قلوب أوجعتموها، وأكباد جوعتموها، وأجساد عريتموها فمحال أن يمت المظلوم ويبقى الظالم اعملوا ما شئتم فإنا صابرون وجوروا فإنا إلى الله مستجيرون واظلموا فإنا بالله متظلمون ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾﴾ [الشعراء: ٢٢٧] .

فعدل أحمد بن طولون عن ظلمه فور قراءته الكتاب.

* * *

أصحاب الأخدود

يقول العلامة ابن كثير جاء فى الأثر :

كان فيمن كان قبلكم ملك كان له ساحر فلما كبر الساحر قال للملك : إنى قد كبر سني وحضر أجلى فادفع إلى غلاما لأعلمه السحر فدفع إليه غلاما فكان يعلمه السحر وكان بين الساحر وبين الملك راهب فأتي الغلام على الراهب فسمع من كلامه فأعجبه نحوه وكلامه وكان إذ أتى الساحر ضربه ، وقال : ما حبسك؟!، وإذا أتى أهله ضربوه قالوا: ما حبسك؟! ، فشكا ذلك إلى الراهب فقال: إذا أراد الساحر أن يضربك فقل: حبسنى أهلى وإذا أراد أهلك أن يضربوك فقل: حبسنى الساحر ، قال : فبينما هو ذات يوم إذا أتى على دابة عظيمة قد حبست الناس فلا يستطيعون أن يجوزوا فقال: اليوم أعلم أمر الراهب أحب إلى الله أم أمر الساحر ، قال فأخذ حجرًا فقال : اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك وأرضى من أمر الساحر فاقتل هذه الدابة حتى يجوز الناس ورماها فقتلها ومضى الناس فأخبر الراهب بذلك فقال : أى بنى أنت أفضل مني وإنك ستبتلى فإن ابتليت فلا تدل على فكان الغلام يبرئ الأكمه والأبرص ، وسائر الأدواء ويشفيهم، وكان للملك جليس فعمى فسمع به فأتاه بهدايا كثيرة فقال : اشفنى ، فقال : ما أنا بشافٍ أحدًا إنما يشفى الله عز وجل فإن آمنت به دعوت الله فشفاك فآمن فدعا الله فشفاه . ثم أتى الملك فجلس منه نحو ما كان يجلس فقال له الملك يا فلان من رد عليك بصرك ؟

قال : ربى .

فقال : أنا ؟!

قال : لا ، ربى وربك الله .

قال : أو لك رب غيري ؟ ! ، قال : نعم ربى وربك الله فلم يزل يعذبه حتى دل على الغلام فبعث إليه ، فقال : أى بنى بلغ من سحرك أن تبرئ الأكمه والأبرص وهذه الأدواء ؟! .

قال: ما أشفى أحدًا إنما يشفى الله عز وجل .

قال : أنا ؟ قال : لا . قال : ألك رب غيرى؟

قال : ربى وربك الله ، فأخذه أيضا بالعذاب فلم يزل حتى دل على الراهب فأتى بالراهب فقال: ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار فى مفرق رأسه حتى وقع شقاه ، وقال: للأعمى ارجع عن دينك فأبى فوضع المنشار فى مفرق رأسه حتى وقع شقاه إلى الأرض . وقال للغلام: ارجع عن دينك فأبى فبعث به مع نفر إلى جبل كذا كذا وقال إذا بلغتم ذروته فإن رجع عن دينه وإلا دهدهوه فذهبوا به فلما علوا به الجبل قال : اللهم اكفنيهم بما شئت . فرجف بهم الجبل فدهدهوا أجمعون وجاء الغلام يتلمس حتى دخل على الملك فقال: ما فعل أصحابك ؟ فقال: كفانيهم الله تعالى فبعث به مع نفر فى قرقور «مركب » فقال إذا لججتم به البحر فإن رجع عن دينه وإلا فأغرقوه فى البحر فلججوا به البحر فقال الغلام: اللهم أكفنيهم بما شئت فغرقوا أجمعون وجاء الغلام حتى دخل على الملك فقال : ما فعل أصحابك ؟!

فقال : كفانيهم الله تعالى ، ثم قال للملك : إنك لست بقاتلى حتى تفعل ما آمرك به فإن أنت فعلت ما آمرك به قتلتني وإلا فإنك لا تستطيع قتلى ، قال : وما هو؟!

قال : تجمع الناس فى صعيد واحد ثم تصلبنى على جذع وتأخذ سهما من كنانتى ثم قل : بسم الله رب الغلام ، فإنك إذا فعلت ذلك قتلتنى ففعل وضع السهم فى كبد قوسه ثم رماه وقال: بسم الله رب الغلام فوقع السهم فى صدغه

فوضع الغلام يده على موضع السهم ومات .

فقال الناس : آمنا برب الغلام . فقيل للملك : أرأيت ما كنت تحذر ؟! فقد والله نزل بك قد آمن الناس كلهم ، فأمر بأفواه السكك فخدت فيها الأخاديد وأضرمت فيها النيران وقال: من رجع عن دينه فدعوه وإلا فاقحموه فيها ، قال : فكانوا يتعادون ويتدافعون فجاءت امرأة بابن لها ترضعه فكأنها تقاعست أن تقع فى النار فقال الصبى : اصبرى يا أماه فإنك على الحق .

وكانت نهاية الخبر أن انقلبت عليهم النيران وأحرقتهم كما قال أهل التاريخ ويقال: إن النار لهم يوم القيامة.

ولقد أردت أن أختم هذا الكتاب بهذه القصة العظيمة لما فيها من النفع العظيم، لأمة الإسلام والمسلمين ، فبها يرى ثبات أهل الإيمان على موقفهم ، رغم ازدياد أهل الطغيان فى إيذائهم ، صبروا وصدقوا ، فجاء أمرهم فى الكتاب والسنة تخليدا لذكراهم وتعظيما لثباتهم.

وجاء ذكر الظلمة حتى يتعظ غيرهم من أهل العلو والظلم والفساد والاستكبار ولكن أين العقول التى تعى؟ .

وأخيرًا يا أحبابى أرجو من العلى العظيم أن أكون قد وفقت فى الوصول إلى الأغراض الثلاثة المكتوبة فى المقدمة.

وأسأل الله لى ولكم النجاة والسلامة من أن نقع في الظلم أو أن يقع علينا ظلم ، فاللهم سلم.

وأدخلنا فى رحمتك بسلام آمين آمين.

المؤلف

محمد عبده

مراجع السلسلة القصصية

* إتحاف السادة المتقين بشرح إحياء علوم الدين : للزبيدى .

* أدب الدنيا والدين : للماوردى .

* تاج العروس : للزبيدى .

* تفسير القرآن العظيم : لابن كثير .

* الجامع لأحكام القرآن : للقرطبى .

* حدائق الأزهار : لابن عاصم.

* حلية الأولياء : لأبى نعيم .

* سنن أبى داود : لأبى داود .

* سنن ابن ماجه : لمحمد بن يزيد القزوينى .

* سنن الترمذى : لأبى عيسى محمد بن عيسى .

* سنن الدارقطنى : للدارقطنى .

* سنن الدارمى : لعبد الله بن عبد الرحمن الدارمى .

* السنن الكبرى : للبيهقى .

* سنن النسائى : لأحمد بن سعيد .

* سير أعلام النبلاء : للذهبى .

* شعب الإيمان : للذهبى .

* صحيح ابن حبان : للبيهقى .

* صحيح مسلم : لمسلم بن الحجاج .

* صفة الصفوة : لابن الجوزى .

* الطبقات الكبرى : لابن سعيد .

* فتح البارى شرح صحيح البخارى : لابن حجر .

* الكامل فى التاريخ : لابن الأثير .

* لسان العرب : لابن منظور .

* لسان الميزان : لابن حجر .

* مجمع الزوائد ومنبع الفوائد : للهيثمى .

* مختار الصحاح : لابن عبد القادر الرازى .

* المراسيل : لأبى داود .

* المستدرك على الصحيحين : للنيسابورى .

* المستطرف فى كل فن مستظرف : للأبشيهى .

* مسند الإمام أحمد : للإمام أحمد بن حنبل .

* المعجم الكبير : للطبرانى .

* المنتظم فى تاريخ الملوك والأمم : لابن الجوزى .

* وفيات الأعيان : لابن خلكان.

* الاردِج فى المواعظ والتواريخ : لابن الجوزى .

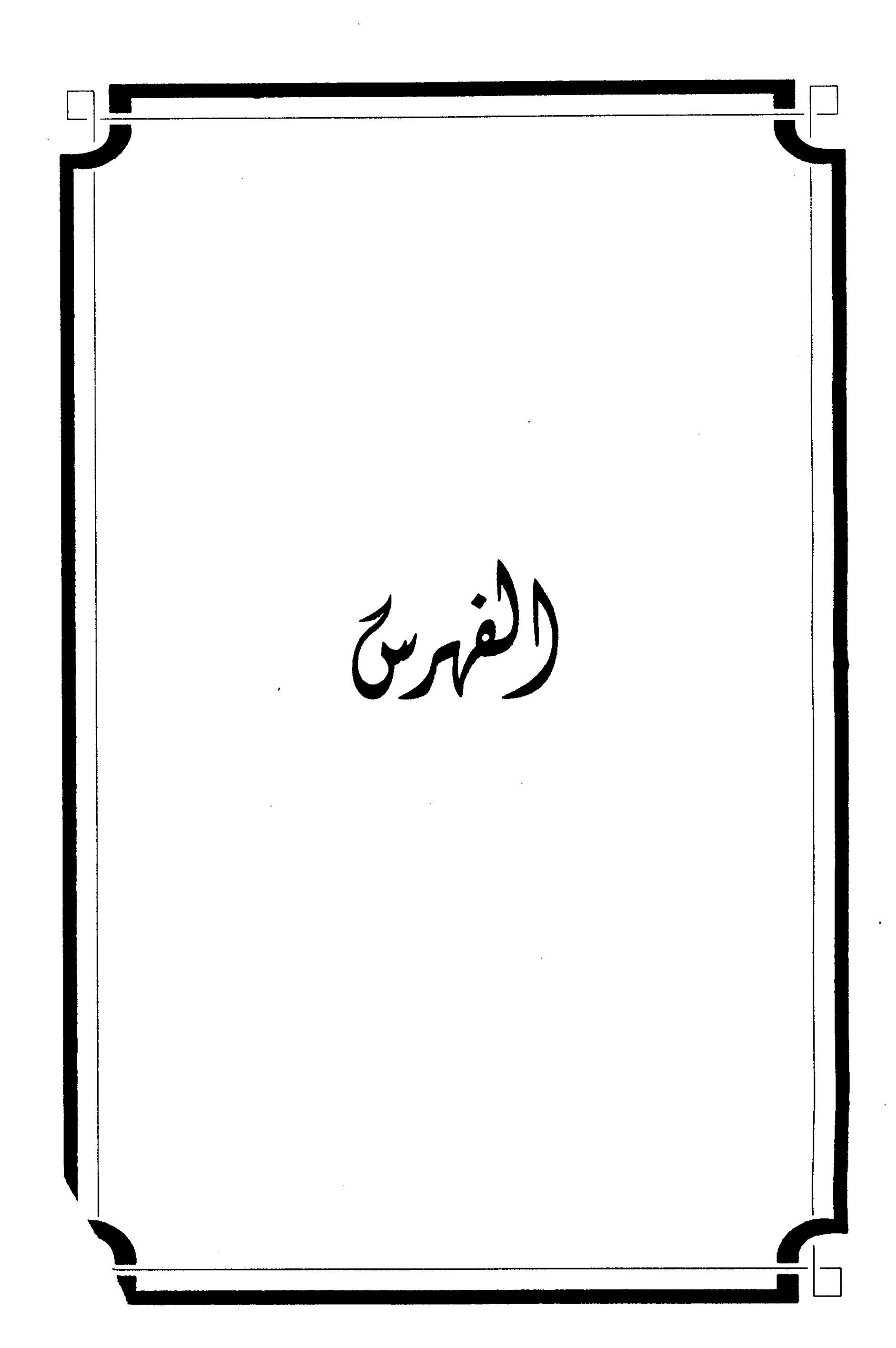
* كتاب المستغيثين بالله تعالى عند المهمات والحاجات : لابن بشكوال.

* كتاب العيال : للحافظ ابن أبى الدنيا .

* المواعظ والنكات : لأبى القاسم محمود .

* التوابين : لابن قدامة .

★ ★ ★


الفهرس

الفهرس